كَفْر الهَلاهلة

عاطف علي القباني

مركز ليفانت لتنمية الموارد البشرية
«دراسات ودار نشر»
الإسكندرية، مصر
أدونيس للثقافة والنشر، ريف دمشق، سوريا

اسم المؤلّف: عاطف علي القباني
عنوان الكتاب: كَفْر الهَلاهلة
الطبعة الأولى: ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

levantegsy@gmail.com

موبايل ٠١١١٤٣٩١٦٠٠ هاتف ٠٣ / ٤٨٣٠٩٠٣ /
عنوان: ط٣، بناء ٤٤، ش سوتر، أمام كلية حقوق
الإسكندرية، مصر
دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة

رقم الإيداع: ٢٧٣٢٢ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي: 978-977-85366-2-1

المحتويات

الإهداء ٥

الحمد لله على نعمة الإسلام ٩

شبّاكه حرام ١٣

الحمار الأسود ١٩

خشوع الشيخ ٢٥

توبة لص ٢٩

الحمار هو الحل ٣٥

القلم والأدوات الهندسية ٣٩

ماما زمانها جاية ٤٥

عز ومجد ٤٩

قانون الكذب ٥٥

الدمْية ٦١

عريس ومخاوى وملسوع ٦٧

كَفْر الهَلاهلة ٧٧

إهـــــداء

إلي عقلٍ يفكر ..
و قلبٍ يلين ..
وصوتٍ يجأرُ بالحق ..
وعينٍ تري مواطن الجمال ..
وأذنٍ تطربُ لسحر النغم ..

عاطف علي القباني

الحمد للّه

على نعمة الإسلام

الحمد لله على نعمة الإسلام

ذهب إلى عمله فى تمام التاسعة صباحًا كعادته وجلس على مكتبه فى إحدى دوائر هيئة المساحة ليجد فى انتظاره بعض العملاء؛ فطلب منهم أن ينتظروا حتى يحتسى قهوته، ثم أخذ يتفقد أوراقهم ولم ينه أية معاملة لأى منهم، فهذه منقوصة الأختام، وتلك غير واضحة التوقيعات، وغيرها لم تستوفِ الدمغاتِ .. وهكذا ظل الحال حتى نظر إلى ساعته ثم صاح: لقد تأخرت .. وهمس فى أُذن أحد زملائه بأنه سيذهب إلى أحد الشركات المجاورة لهم بدعوى أن ذلك اليوم هو أول يوم للتخفيضات على الأدوات الكهربائية؛ فبادله الزميل بهمسة أخرى بأنه سيلحق به.

قبيل انتهاء ميعاد العمل الرسمى عاد إلى مكتبه ليجده يعج بالعملاء، فطلب منهم أن يصطفوا، وبعد أن انتظم صفهم؛ دخل عليه رجل ذو هيئة وهيبة يرفل فى حُلة تشهد له بالأناقة، ثم ألقى عليه السلام، وبادر بمصافحته، ثم جر كرسيًا وجلس بجواره وهمس فى أذنه قائلًا: موضوعى لن ينتهى هنا فى مكتبك، لأنه شائك، وإزالة مخالفاته ستحتاج إلى مجهود كبير، وعلاج أعطابه يقتضى مالاً كثيرًا، والحمد لله الذى جعلنا مِمَن يُقَدِّرون مجهود الآخرين.

رد عليه الموظف بصوت حالم وتنهيدة أمل: وأنا تحت أمرك، فأخبره الرجل بأنه فى انتظاره فى سيارته ثم خرج.

لملم الموظف أوراق مكتبه، وطلب من العملاء المصطفين أن يعاودوه فى الغد لانتهاء مواعيد العمل الرسمى ثم هرع إلى السيارة، وبعد أن ركبها أخبره الرجل بأنهما سينتهيان من عملهما أولًا ثم يتناولان الغداء، ثم انتهى بهما المسير إلى أرض شاسعة قد تم تبويرها لاستبدال أجمل قرية سياحية بمحاصيلها، قام

الموظف برفع أضلاعها وأقطارها، وعمل كل المطلوب حيالها وأخذ كل الأوراق لعمل الإجراءات الرسمية وغير الرسمية لها، ثم أغدق عليه الرجل بمبلغ من المال بحجة الإنفاق على تلك الإجراءات، وقبيل المغرب اتصل الرجل بأفخم المطاعم لتجهيز أشهى المأكولات والمشويات، وبعدما مر بالمطعم وأخذ ما طلب قام بتوصيل الموظف إلى بيته محملًا بعشاء شهى .. دخل الموظف على زوجته بالبشرى الجميلة وجمع أولاده وتناولوا أجمل عشاء، ثم آوى إلى أريكته المفضلة التى تقبع تحت شباك يطل على مسجد طالت مئذنته وتلألأت أضواؤها الخضراء فى الظلام، أتت زوجته بكوب الشاى الذى يفضله بعد العشاء ثم انصرفت، أشعل سيجارته، ومع أول رشفة من الشاى انطلق أذان العشاء؛ فصاح مناديًا زوجته وطلب منها أن تصمت وتنصت للأذان، وبعد أن انتهى المؤذن قال لزوجته بسرور: أرأيت هذه الحلاوة وهذا الجمال؟ أتعلمين بهذه الرحمة وهذه المغفرة؟ أَمَا سمعتِ المؤذن وهو يقول: *أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله*؟ اعلمى يا زوجتى أن من يقولها دخل الجنة .

مال الرجل برأسه صوب الشباك، وأخذ رشفة من الشاى ونفسًا عميقا من السيجارة، ومع الدخان المندفع من فمه نظر إلى المئذنة وقال: * الحمد لله على نعمة الإسلام *

شبّاکه حرام

شبّاكه حرام

اتصل بخطيبته وبصوت يغمره الأمل بَشّرَها بأنه قد حصل على عقد بوزارة الصحة براتب شهرى ثلاثة مائة جنيهًا، فكادت تُجَنَّ من الفرحة، وأحست بأن المستقبل قد فتح لهما الأبواب ومهد لهما الطرق لينطلقا معًا، ولكنها تساءلت ماذا سيعمل فى وزارة الصحة وهو حاصل على ليسانس الآداب قسم جيولوجيا؟ ولكن ما شغلها أكثر هو أن يُثَبّت فى هذا العمل مستقبلًا، وفى اليوم التالى، وبخطوات متسارعة وهو يرفل فى ثوب جديد ذهب ليتسلم عمله فى مكتب رعاية الأمومة والطفولة التابع لوزارة الصحة فى بلدته، سار فى طرقة، وتخيل أنها ستنتهى به إلى قصر مشيد، ولما وطىء بقدمه أعتاب الغرفة مقر عمله شعر بأنها ستكون مقر انقضاء نحبه، غرفة ضيقة تعج بالموظفين والموظفات الذين يجلسون على أشلاء من الكراسى والمكاتب، ولكنهم استقبلوه بحفاوة، وبكل مظاهر الفرح، وأعربوا له عن بالغ سعادتهم لمزاملة أول شاب فى عملهم؛ ليضفى على غرفتهم شيئًا من البهجة بعد أن أترحتهم أثقال الحياة، وبعد أن بادلهم التحية وشكرهم على حسن الاستقبال، نظر إلى الغرفة ليتفقد ما بها، لم يجد موضعًا لأى شخص من حقه أن يراجع هذا المكتب، ولكنهم طمأنوه بأن مرتادى المكتب من الأمهات والأطفال يجلسون على الرصيف المتاخم للمكتب ويتمتعون بفىء الشجرة التى تميل بأغصانها على ذلك الرصيف، فضلًا عن المياه الباردة التى تموج فى (الزير) الموجود أيضا على الرصيف، وفى ظل هذا الحديث صاح مدير المكتب والذى انتفت عنه كل مقومات الصحة، والذي يعمل مسئولًا فى وزارتها بصوت قد أرخى الضعف والوهن أوتاره، وغطى الزمن بهمومه بريق نغماته قائلًا: بلدتنا محظوظة، والمفتروض أن تحمد ربها ليلًا ونهارًا، فكثير من مكاتب الرعاية الموجودة فى البلاد المتاخمة لبلدتنا لا يوجد

بها أى مكان لاستقبال الأمهات، ولا الأطفال لا داخل الغرفة ولا خارجها، وعليكم أيضًا أن تحمدوا ربكم وتشكروه، على أنه منَّ عليكم بمقعد أيًا كانت حالته لتجلسوا عليه، و(زير) به ماء بارد منه تشربون ومنه تتوضئون، فى هذه اللحظة شعر الشاب المسكين بهبوط فى دورته الدموية وضيق حاد فى التنفس وذلك من ضيق الغرفة وعدم تجديد الهواء بها، ونظر فوجد بأحد جوانب الغرفة شباكًا مغلقًا وقد أكل الزمن من أطرافه، ونالت الشمس من أخشابه، ولما طلب منهم أن يقوم ليفتح الشباك، رفضوا وطلبوا منه ألا يعود لمثل هذا الطلب ثانيةً، ولما سأل عن السبب أجابه المدير بأن هذا الشباك يطل على قطعة أرض كبيرة هى ملك لوزارة الأوقاف، وبعد مداولات ومناقشات ولقاءات أسفرت عن مذكرة تفاهم بين الوزارتين مفادها عدم فتح الشباك، حمى الدم فى عروق الشاب، وأحس بأنه لن يقدر على التفريط فى آدميته أكثر من ذلك؛ فقام من مقعده ودفع الشباك ففتحه لتنساب منه نسمات عليلة من الجانب البحرى، فتهللت الموظفات وأكبرنه على هذه الشجاعة التى منحتهن حقهن فى الحياة من الهواء للتنفس، وفى تلك اللحظة أخذ المدير يضرب رأسه بكفيه على تلك المصيبة التى أتته، والنائبة التى نزلت به هو ومكتبه من جراء فتح الشباك، وبدا على الموظفين علامات الخوف والحزن مما هو آت. وفى صباح اليوم التالى، ومن داخل مقر عمله الجديد تم القبض على الشاب ومعاينه الحدث من خلال مسرح الجريمة من قِبَل رجال النيابة ورجال البحث الجنائى ورجال الشئون القانونية لوزارة الصحة ليفندوا الشق الجنائى والشق المدنى للقضية، والتى انتهت بسجن الشاب ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ، ولم يهدأ لخطيبته ولا لمجموعة رفاقه بالٌ فظلوا يتواصلون عبر شبكة التواصل (الفيس بوك) ويدعون أقرانهم من الشباب الأبى بالانضمام إليهم والتنديد بالظلم الذى وقع على رفيقهم، ورويدًا رويدًا بدأ الشباب ينضم إليهم حتى كونوا حركة مناهضة للظلم أطلقوا عليها اسم (افتحوا الشباك) ويطالبون من خلالها بالإفراج عن رفيقهم. وما أن أصبحت القضية تشغل الرأى العام حتى فتحت القنوات

التليفزيونية الخاصة والعامة أبواقها بين مؤيد ومعارض، وظهر على الشاشات رجال الدين على مختلف مرجعياتهم، منهم من يحلل فتح الشباك، ومنهم من يوجب فتح الشباك، ومنهم من يعتبره من الابتداع فى الدين، ومنهم من يقطع بتحريمه، وكل منهم قد أتى بحمل ثقيل من الأسانيد والأدلة الشرعية، ولما أحست الحكومة بانقسام الرأى العام، وزيادة نشاط حركة (افتحوا الشباك) والتفاف الشباب حولها، شعرت بالخطر من زيادة تيار المعارضة، وخاصة من قبل الشباب، فحسمت الأمر وضمت قطعة الأرض الخاصة بوزارة الأوقاف إلى وزارة الصحة، وفتحت الشباك. وبذلك يكون سبب سجن ذلك الشاب المسكين لا وجود له، ولكن قبل أن يُفرج عن المسكين اشتعلت النيران بين الهيئات التشريعية ومجلس النواب حول قانونية الإفراج عن المتهم ودستوريتها وشرعيتها، وأصبح الجدل كبيرًا. فرأى البعض أن زوال سبب الحكم يبطله، ورأى الآخرون أن الجريمة كانت كاملة الأركان ساعة وقوعها. ومازال الأمر مستعرًا فى القنوات الفضائية، وقد تضاعف ثمن الإعلانات لكثرة المشاهدين، وتعاظمت أجور المحللين وخبراء القانون ورجال حقوق الإنسان، حتى القنوات الرياضية انتفض محللوها واعتبروها قضية تمس الرياضة طالما تمس الشباب، ودعى كبيرهم إلى استضافة فرقة عالمية كبيرة للعب مع أقوى فريق فى البلد؛ وذلك لتهدئة النفوس، وقد أيده كل القائمين على النشاط الرياضى وكذلك المهتمون به وباركوا هذه الفكرة العبقرية وناشدوا الشركات والمؤسسات الكبيرة ورجال الأعمال لتمويل هذه المباراة والتى لا تعود إلا بالخير والنفع عليهم وعلى البلاد والعباد. ومازال الشباب ثائرًا، وقد أصبح شعار تلك المجموعة المعارضة هى صورة لشباك مفتوح، ومازال رفيقهم حبيسًا حتى تتفق الهيئات التشريعية.

مرت السنوات الثلاث، وخرج المسكين من محبسه بعد أن قضى المدة كاملة، ومازال الجدل محتدمًا بين الهيئات التى عجزت أن تشرّع نصًا يخرجه من محبسه، ورغم خروجه لم يهدأ الشباب بل اتسعت حركتهم، وزاد عنادها، وشعر المسؤولون بالخطر بعدما ملئت الشوارع وحوائط الجامعات بصور

للشباك المفتوح. وبتصرف خاطف وسريع وقرارات حازمة، تم القبض على الشاب المسكين مرة أخرى ولكن هذه المرة بتهمة أكبر، فقد نُسب إليه حزمة من الاتهامات على رأسها تكوين حركة مناهضة للحكم، وقد أودع معه فى السجن العشرات من أعضاء تلك الحركة من الشباب، وحوصرت الجامعات، وأُخذ ناشطوها من الطلاب، وقامت الجهات العليا برد قطعة الأرض إلى وزارة الأوقاف وقفل الشباك إلى الأبد، وما إن هدأت الأمور بعد أن توسل كل أب إلى ابنه، وهوت كل أم على قدمى ولدها ليقلع عن هذه الحركة، وما لبث المسئولون أن شعروا بزهو الانتصار والسيطرة على كل الأمور حتى أصبحت البلدة ومعظم بلاد القطر كله على حرائق ودخان أسود يغطى السماء، وتشكيلات الأمن تحيط بكل الأبنية الحكومية بعد أن أُضرمت النيران بكل نوافذها وأبوابها، وهرعت فرق الإطفاء لإخماد النيران قبل أن تأكل ما بداخلها من أوراق ومستندات، وبعد ساعات قليلة ظهر على شبكة التواصل (الإنترنت) شاب ملثم يحمل شعلة من النار ويلتف من ورائه مجموعة من الشباب الملثمين الذين حذوا حذوه فى حمل الشعل، وأعرب عن سعادته من نجاح العملية والتى من شأنها تخليص الجهاز الإدارى من تعفنه بحرق جميع نوافذه وأبوابه وتشريعاته البائدة، وبَشّر الدول المجاورة والحبيبة والصديقة بأنه جارٍ وعلى وجه السرعة فتح فروع لتلك الحركة المباركة فى بلادهم لتحرير جهازهم الإدارى من ربقة تخلفه والتى انطلقت اليوم بإذن الله تعالى تحت اِسم (شبّاكه حرام).

الحمـار الأســود

الحمار الأسود

ذات صباح، والشمس ساطعة على الغابة وكل ما يشغل ساكنيها هو إشباع غرائزها من طعام وشراب وتناسل، وفى لحظة سكون مَشَتْ مجموعة من الأُسُود فى مخاتلة ثم انتفضت وهاجمت قطيعًا من الحمير فهبا الغبار ولاذ بعضها بالفرار، ومُزِقت وقُطِعت كل من لحقت به وتفرقت الحمير الفارة حتى انتهى الأمر بخمسة منهم فى مكان بعيد ووقفوا ليلتقطوا أنفاسهم من التعب بعد رحلة الركض الكبيرة فغلبهم النوم حتى صباح اليوم التالى، ولما استيقظت أحست أنها أصبحت بمنأى عن خطر الوحوش، وأن مكانها الجديد آمن وتركت قرار البقاء فى هذا المكان، والعيش فيه، أو الرحيل عنه لكبيرها، وفى تلك اللحظة صمت كبيرها، وأخذ يتفقدها بنظرات ثاقبة؛ فوجد أحدها ذكرًا أبيض مثله وأنثيين لهما اللون الأبيض نفسه، أما الخامس فهو ذكر شديد السواد، وبعد تفكير خرج من صمته وطلب من الحمار الأسود أن يتخذ مكانًا وحده، ثم انضم هو إلى الثلاثة البيض موجهًا رأسه صوب الحمار الأسود، ثم صاح فيه بتعالٍ وبصوت عالٍ قائلًا: أيها العبد أنت من الآن خادمنا وقاضٍ لكل احتياجاتنا، وليس لك الخيرة فى أن تقبل أو ترفض، فبقاؤك فى الحياة مرهونٌ بخدمتك لنا، ثم دنا منه وأخذ يطوف حوله باستعلاء وتَكبّر ويتبعه الثلاثة البيض فى تضامن ومؤازرة، وبعد أن كف عن الطواف طلب من الأَسْوَد أن ينأى بنفسه بعيدًا وينصت ويذعن لما يسمع، ولم ير الأَسْوَد منجىً ولا مخرج إلا أن يذعن ويخضع، وأخذ كبيرها يهنىء أصحابه الثلاثة بمملكتها الجديدة، ويشكر الظروف الجميلة التى ألقت بها فى هذا المكان، فأصبح لكل ذكر أبيض أنثى وزوجة بيضاء وهيأت لها عبدًا يسهر على خدمتها، ثم نظر إلى الأنثى الأكبر حجمًا وقال لها: من الآن ستصبحين زوجتى، هنالك ابتسم الأبيض الآخر ونظر للأنثى

الثانية قائلًا لها: ومن الآن ستصبحين أنت الأخرى زوجتى، فنظر الأنثيان إلى بعضهما وضحكتا مرحًا، وقالت الكبيرة : ألم تعلما أيها الحماران أنه من الآن قد وجب عليكما أن تعدا بيتين للزوجية. نظر الحمار الأكبر إلى الحمار الأسود وقال له: هذه مهمتك أيها العبد، وحدد له أماكن البنيان وأمره بالإسراع فى جمع الأحجار والأخشاب اللازمة للبناء فضلاً عن القيام بجميع المهام المنزلية من إحضار الطعام وإعداده وأعمال النظافة وغيرها، وأخبره بأن حياته ستكون ثمنًا لتقاعسه. هرع الحمار الأَسْوَد يمينًا ويسارًا شمالًا وجنوبًا وأخذ يجوب كل الأرجاء، ويرسف فى الوعورة بحثًا عن مواد البناء حتى سلك طريقًا وجد فيه كل ما يرجوه، ولكن المشكلة أن الطريق قد قُطع بشجرة عملاقة مقطوعة وملقاة فى عرض الطريق، وفشلت كل محاولاته فى إزاحة هذه الشجرة، ولا سبيل له إلا فى جر الأحجار متخطيًا الشجرة بصعوبة، وبعناء شديد مرت الأيام، والحمار الأسود يشقى فى الرق والعبودية ليطول البناء ويقترب من إتمامه، وينعم أسياده البيض بالراحة والترف وبأشهى الأطعمة التى يعدها لهم، وقد اكتملت فرحتهم باكتمال البناء وزادت سعادتهم بمسكنهم، الجديد والذى يُؤَمِّنُهم من هجمات محتملة لوحوش البرية، وبينما الحمار الأسود يشعر باحتياجه لقسط من الراحة بعد عناء البناء خشى عليه الأربعة البيض من نومه فى العراء حتى لا يكون فريسة لوحش يكون قد ضل الطريق؛ فيحرمون من خدمته، فأمروه أن يَهِمُّ ويسرع فى بناء كوخ صغير له، فامتثل الأَسْوَد وشرع فى جر الأحجار حتى أعجبه حجر كبير أراد أن يتخذ منه متكئًا، وأخذ يجره تارة ويدفعه تارة حتى وصل إلى الشجرة العملاقة التى تقطع الطريق، ثم وقف ليلتقط أنفاسه ثم عزم على دفع الحجر دفعة قويه عسى أن يرمى به خلف الشجرة، وبعد أن دفع بالحجر؛ تهلل ووقف يختال فى فرحًا من هول المفاجأة، فقد اندفع الحجر وأزاح الشجرة، ثم أخذ يختبر قوته بإزاحة الشجرة؛ فوجدها تتأرجح بين أرجله، وبعد أن حملها بسهولة؛ هرع إلى بركة الماء وأخذ ينظر إلى صورته فوجد عضلاته قد فُتلت وانتفخت عروقه، هنالك أدرك الحمار الأسود بأنه قد أوتى القوة، واكتسب

القدرة ومنح المهابة، فأسر ذلك فى نفسه حتى ينتهى من بناء الكوخ، ولما أتم بناءَه اغتسل وتزين ووقف أمام البيتين وصاح بصوت يهز المكان: أيها الحماران الأحمقان انزلا إلى هنا ومعكما ما تدعيان أنهما زوجاتكما، فهرع إليه الحماران فى دهشة وتعجب وتبعهما الأنثيان، اقترب الحمار الأسود من الحمار الأكبر ووكزة بأرجله الخلفية وكزة أطاحت به وكادت أن تقضى عليه، ثم توجه إلى الحمار الآخر فوجده يرتعد خوفًا ويرتجف رعبًا، وبمنتهى الغرور والاستعلاء شب على قدميه ورفع يديه ونهق بأنكر الأصوات، ثم اعتدل قائلًا: أيها القطيع الملعون، لقد صدق من جعل من صوركم رمزًا للغباء، فقد رَزَحَت قواكم من الترف، من الآن أيها الحماران الأحمقان حرمت عليكما زوجاتاكما وهنيئًا لكما مسكنكما الجديد ذلك الكوخ الحقير، ثم نظر إلى الحمارتين وتبسم قائلًا: زوجتىَّ العزيزتينّ.. كل منكما تفضى إلى مسكنها وتتزين لتنتظر أميرها الأَسْوَد الذى يعودها يومًا بعد يوم، فامتثلا لأوامر أميرهما الجديد، ثم ركض وراء الحمارين حتى أدخلهما الكوخ وأخذ يتلو عليهما أوامره بأن تقتصر خدمتهما على الأعمال المنزلية فقط، ثم وقف على باب الكوخ ضاحكًا ومتهكمًا قائلًا: لن أبدو هذه المرة حمارًا وسأستغنى فى هذا القرار عن حموريتى وسأعفيكما من جميع الأعمال الشاقة، فلما أحس الحماران بالراحة لرفع المشقة عنهما، تبسم الأَسْوَد وقال: ستظل الحمير حميرًا.

خشـوع الشـيخ

خشوع الشيخ

اعتلى الشيخ المنبر، وأخذ يعظ الناس ويحثهم على الاعتصام بحبل الله، وعندما وصل للدعاء أسهب وألح على الله فى طلب الرزق حتى فاضت عيناه بالدموع وتهدج صوته. وبعد أن فرغ من صلاته؛ آوى إليه أحد أحبائه ورفقائه متسائلاً: ماالذى أبكاك ياشيخ!؟ فرد عليه الشيخ قائلاً: إنها الثلاجة، وعندما سأله رفيقه عن سر الثلاجة التى أبكته فى الصلاة، أخبره أن زواج ابنته متوقف على شراء ثلاجة ذات بابين، وأن زوجته أمهلته أسبوعين لشرائها لتفتح بابيها، وتضع فيها مالذ وطاب من طعام وحلوى وفاكهة للعروسين، فقد حان زفافهما، ولم يجد سبيلًا لذلك إلا بالإلحاح على الله بالدعاء، ومن خشيته بألا يُقبل دعاؤه انهمرت دموعه من سوء العاقبة وفشل الزواج، وبعد أن زجره رفيقه قائلاً: بدلاً من أن تطلب من الله وأنت تؤُم الناس أن يفتح لك أبواب جنته .. تطلب منه أن يفتح لزوجتك أبواب الثلاجة. وضع الشيخ يده على كتف رفيقه وقال له: قد تُعجزنا الثلاجة وقد يُعجزنا العوز من أن نفتح أبوابها، ولكن من يُعجز ربك فى فتح أبواب جنته؟ فقال له الرفيق: لن يعجزه أحد، ولكنه أخبرنا بأن الجنة للمتقين وليست للسائلين. هنالك وضع الشيخ يده الأخرى على كتف رفيقه وقال له: أما تدرى بأنه يدخل من يشاء فى رحمته؟ وبما أن رحمته وسعت كل شىء، فبإذنه تعالى جل شأنه وتقدست أسماؤه ستصيبنا مشيئته وتسعنا رحمته، فمن يمنعنا من دخول جنته من أبواب رحمته؟ ابتسم الرفيق وقال له: لن يغلبكم أحد أيها الشيوخ إن أردتم وعدًا أو وعيدًا .. فلتخلص فى الدعاء وتطلب لى معك ثلاجة ذات بابين وزد معها مُبردًا، فإن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

توبــة لــص

توبــة لــص

أحس رجل أعمال بأنه أمضى كل حياته فى عمله مشغولًا عن أقربائه وأحبائه وأصدقائه، وشعر بأنه محتاج إلى سلوة من العيش؛ فقرر أن يعهد بمعظم أعماله إلى أولاده، وشرع فى بناء استراحة بمكان غير مأهول بالسكان، وبمنأى عن كل البشر ليستضيف فيها كل من رغب من أقربائه وأحبائه أن يحل ضيفًا عليه، وأعد لهم ما يليق بهم من المتاع والقِرَى، وفى أول ليلة له ولضيوفه، وبعد سهرة غمرها الشوق والسمر وفى الثانية صباحًا أخلد كل واحد منهم إلى النوم، وبعد لحظات استيقظ رجل الأعمال بعد أن نفذ إلى مسامعه أصوات متباينة ومتناثرة للحراس، فأطل من الشرفة، وعرف أن هناك لصًا، ولما نزل وجد اللص فى قبضة حراسه ثم قعد على أريكته التى تتوسط الحديقة ومن أمامه اللص وهو فى قبضة الحراس، ولما سأله الحراس بماذا يأمر؟ لم يجبهم، وظل ينظر إلى اللص، ويتفقده وهو غارق فى التفكير، ثم أمرهم بأن يقوموا بتفتيشه فوجدوا معه مطواة وعدة جنيهات وهويته، فأمرهم بالتحفظ عليها والحفاظ على بصماته بالمطواة، وأمرهم بإكرامه وتقديم العشاء له من أشهى المأكولات وإيداعه فى غرفة الجناينى حتى الصباح وسط دهشة اللص والحراس من هذا الكرم المصنوع فى غير أهله.

صعد رجل الأعمال إلى غرفته ليجد زوجته فى انتظاره، وقد استرقت السمع، وعلمت بما حدث، ولما سألته عن قصده بإكرام هذا اللص أخبرها بأن هناك فكرة قد داعبت خياله من أول لحظة مَثُل فيها اللص أمامه، وفى ضحى اليوم التالى أمر بإحضار إفطار شهى للص وثياب جديدة وإصلاح هندامه، ثم مَثُل اللص أمامه مأخوذًا بكل أنواع الحيرة والدهشة والتى زادت عندما أخبره رجل الأعمال بأنه حل ضيفٌ كبيرٌ فى وقت عصيب، وقد طال الشوق إليه، لم

يفهم اللص شيئًا فطمأنه الرجل بأنه سيفهم كل شىء لاحقًا وأمر بانصرافه والعمل على راحته وإكرامه مع التحفظ عليه فى الغرفة ذاتها، وبعد يومين اتصل الرجل بأحد أصدقائه وهو ضابط شرطة كبير، وطلب منه الحضور بملابسه الشرطية، وأفهمه بما يدور فى خلده، وكشف له عن خطته، حضر الضابط وقعد وسط لفيف من الضيوف الذين ادعوا أنهم من رجال الأمن والمباحث حسب الخطة الموضوعة، ثم أتى الحراس باللص فارتجفت أطرافه وخفق قلبه ومُلىء رعبًا عندما شاهد هذا الجمع، وبهدوء وصوت منخفض وسط السكون الذى خيم على المكان قال له رجل الأعمال: لا أدرى ما الذى أتى بك إلى هنا؟ أهو حظك العاثر؟ أم قدرك المحتوم؟ أم قدر ولدى الجميل الذى ستُعتق رقبته من حبل المشنقة؟ الموضوع يا عزيزى أن أحد أبنائى قد أُتهمَ بقتل رجل بطعنهِ بسكين وسيُحْكم عليه غيابيًا بالشنق قريبًا وهاهو قدر الله الذى أتى بك لتعتق رقبة ولدى لتحل محله وتموت شهيدًا، انهار اللص ثم قاوم التردى وانتفخت عروقه، وصاح بأحط الشتائم والسباب، وأمسك به الحراس، وطلب منه الجميع الهدوء والامتثال بدعوى أنه لا فائدة على الإطلاق من ثورته، فقابل هذا الطلب بالبكاء والعويل وتساءل: ماذا سيفعل أولاده وزوجته بعد رحيله؟ ومن الذى سوف يعولهم؟ طمأنه رجل الأعمال بأنه من تلك اللحظة لا يحمل همًّا فسوف يعيشون فى رغد من العيش، وترف لم يعرفوه من قبل، وذلك طيلة حياتهم، استمر اللص فى البكاء وأخذ يندب حظه الذى أتى به إلى هن، ويرثى نفسه على شبابه الذى كُتب له الفناء، ثم صمت عندما شاهد الجمع يتحرك من حوله، فقد قام رجل بالتقاط عدة صور له من جميع الاتجاهات، وأخذ آخر بإمساك المطواة بواسطة قطعة من القماش للحفاظ على بصماته، وأخذ الجمع يتداول الأمر على أنهم فريق البحث الجنائى، وخلصوا بأنهم سيتقدمون إلى المحكمة بهويته والجنيهات التى عليها بصماته بدعوى أنها سقطت منه بجوار القتيل بعد ارتكابه الجريمة، ثم لاذ بالفرار، هنالك أدرك اللص بأنه مذبوح، ولا منجى له ولا خلاص من ذلك، وبعد يومين من حبسه فى الغرفة

نفسها طلب من الحراس مصحفًا، وظل عاكفًا على التلاوة فيه، وأخذ يؤدى كل صلاة لوقتها .. وتتوالى الأيام لتطول لحيته، ويزداد ورعه، وأصبح زاهدًا فى الطعام والشراب، وعلم أن أولاده فى رغد من العيش، ولما علم بأن ما بقى على نحره من الزمن هو أيام قليلة؛ أخذ يقيم الليل وينتحب بالدعاء والمغفرة، ولما آن لرجل الأعمال أن يرحل من المكان هو ورفاقه لانقضاء فترة الراحة والاستجمام؛ أبلغوا اللص بأنه سيُرَحَّل غدًا ليُنفذ به حكم الإعدام، حيث حُكم عليه حضوريًا بالشنق باعتباره كان وديعة السجون الرسمية، انتابت اللص حالة من الرجفة، وأخذت كل أعضائه تهتز، ثم دخل فى حالة من اللامبالاة، وعدم الشعور بما يجرى حوله، وفى صباح يوم الترحيل هرع إليه الحراس وبشروه بإفلاته من هذه العقوبة، وأخبروه بأن المحكمة قد برأته وأمرت بضبط وإحضار المتهم الأصلى، فهب واقفًا وانتصب قوامه ثم قفز وكادت رأسه أن تطول سقف الحجرة، ودوت صيحته المكان كله بالتكبير والتهليل، ثم أخبروه بأن يتوارى ويصمت تمامًا حتى يغفل عنه رجل الأعمال، وهو مشغول بمصيبة ابنه كى لا يأخذه مع الركب المغادر للمكان للزج به مرة أخرى، ونصحوه بأن يلوذ بالفرار بعد رحيل كل من فى المكان، ووعدوه بترك باب محبسه مفتوحًا، وردوا إليه هويته والمطواة والجنيهات، ظل اللص يراقب الموقف بكل حواسه، وقبل المغرب وجد الركب بكل سياراته وحراسه يتحرك مغادرًا المكان.

خرج اللص من الغرفة، ورفع رأسه ليتأمل الفضاء الواسع من حوله، ويتنفس أول نسمات الحرية التى حُجَبت عنه ما يقرب من شهر، وقبل أن ينظر إلى باب الاستراحة الخارجى، رحلت عينيه إلى الباب المؤدى إلى الداخل، ثم هرع إليه وتهللت أساريره عندما وجده مفتوحًا، ثم صعد إلى الدور الأعلى وأخذ يتفقد أبواب الحجرات المغلقة، وأحس بأن باب الجنة قد فُتح له عندما وجد أحدها مفتوحًا، ودخل الحجرة ليجد سعده مُلقى على التسريحة الموجودة فى أحد زوايا الحجرة .. علبة المصوغات الذهبية التى أعدها له رجل الأعمال، وكانت تحاكى المجوهرات الثمينة لكنها مشغولات معدنية مطلية بماء الذهب،

أخذ اللص يعبث بأصابعه بهذه المشغولات ويضرب ببعضها البعض ليشنف أذنيه بوسوستها، وكأنه يداعب فريسته قبل الانقضاض عليها، وكل ذلك تحت أعين الكاميرات المزروعة فى كل أرجاء الاستراحة من الخارج والداخل، احتضن اللص العلبة ونظر إلى المرآة ليرى صورته الجديدة بوجهه المشرق الباسم، ومن الفرحة لم تُلْفت نظره لحيته المبعثرة، وضع العلبة فى شنطة والتقمها ولاذ إلى الباب الخارجى، وقفز من فوقه ليجد فى انتظاره اثنين من الأشقياء على دراجة بخارية كانا يتتبعان الاستراحة حتى فرغت من البشر، ولما طلبا منه أن يعطيهما الشنطة بهدوء ذهب عقله وتمكن منه الجنون واشتعلت كل أعضائه غضبًا وأخرج المطواة، ولكن سكين أحد الاثنين الأشقياء كان أسرع ليسكن فى أحد جنبى اللص ليسقط على الأرض وتسقط معه الشنطة ليلتقطها الاثنان ويلوذا بالفرار، رفع اللص رأسه وهو ملقى على بطنه ليشير بأيسره ولا تعرف إن كان يناجى الشنطة أم يستنجد بطاعنيه ولكنهما بدآ فى الاختفاء كحال وضح النهار الذى بدأ أيضًا فى الاختفاء، ثم أدار رأسه يمينًا وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة حيث بدأت بقعة النزيف فى الاتساع، ونظر من خلال فتحات الباب الحديدى إلى غرفة محبسه وأشار بيمينه إليها وأخذ يلوِّح لها مستجيرًا بتوبته التى شهدت لها تلك الغرفة أن تصعد إلى السماء قبل أن تصعد روحه، وأخذ يُلَوِّح ويُشير بيمناه حتى سقطت على الأرض لتصعد روحه طعنًا فى نفس اليوم الذى كان يعلم أنها ستصعد لبارئها شنقًا تاركًا زيف المجوهرات وزيف التوبة وزيف الدنيا.

الحمـــار هو الحـــل

الحمـــارهوالحـــل

ضجرت الحيوانات الأليفة من كثرة هجوم الحيوانات المفترسة عليها تترى والفتك بها وبصغارها، وأبدت بعضها خوفًا من الانقراض، وفى غفلة من الحيوانات المفترسة، اجتمعت الحيوانات الأليفة للبحث عن حل، وبعد عدة اجتماعات ومناقشات اتفقت على أن تقيم مملكة خاصة بهم، وتُحَصّن أسوارها بالفخاخ والشراك والكمائن، وبعد أن أتمت مملكتها، قام كل قطيع من كل نوع بتنفيذ المهام القتالية التى عُهدت إليه، ففى أول هجمة للأسود قامت الطيور برصدها من مسافة بعيدة وقفزت القرود واعتلت الأشجار التى تحيط بأسوار المملكة محملة بأحجار، واصطف الجاموس من خلف الساتر المائى مستعدًا بقرونه، ومن خلفها الفيلة ومن خلف الجميع باقى الفصائل من الأنواع المختلفة، ومع محاولة أول أسد لعبور الحاجز المائى انهال عليه الرماة من فصائل القرود بالأحجار، ولم يتمكن من العودة؛ فغاص بالعباب غريقًا مودعًا أصحابه الذين وقفوا فى ذهول ودهشة غير قادرين على إنقاذ رفيقهم، ثم لاذوا بالفرار، أردفت الأسود... وغيرها من فهود ونمور وضباع ومختلف الحيوانات المفترسة المحاولات بعدما خَمَصَت بطونها فلا ترجع إلا بخيبة أمل ونقص فى الأعداد.

غضب ملك الغابة غضبًا شديدًا بعدما ألمت به هذه الداهية، وأمر أشباله بأن يأتوا بكل كبير من الحيوانات المفترسة، وعلى رأسها كبير الثعالب، وقف الجمع وهم داخرون أمام ملك الغابة، وهو متكىء فى عرينه، ومحاط بأشرس القساورة، ثم أشار لكبير الثعالب؛ فتقدم وانحنى لتحية الملك الذى سأله بغضب: هل تعلم ماذا ستفعل هذه القساورة إن لم نفلح فى اختراق الحصون؟ رد الثعلب بهدوء وثقة: أعلم يامولاى أنه لن تقوى عليها باقى الوحوش وستكون هى الضحية ووجباتها اليومية، فهدده الملك بأنه سيكون أول الضحايا أمام هذا

الجمع إن لم يأتِ بالحل الناجع لاقتحام الحصون، فضحك الثعلب وأكد أنه لا يوجد أى حل للاقتحام، أشار الملك لشبل صغير وأمره بأن يأكل الثعلب فارتعدت باقى الوحوش المصطفة، ولم يهتز الثعلب وقبل أن يُقبل عليه الشبل أشار للملك وقال له: سأرحل عن عالمكم ومعى السر والحل، فأشار الملك للشبل بأن يكف عن التقدم صوبه، ثم سأل الثعلب عن سبب إخفائه للحل، ابتسم الثعلب وقال له: أنت سألتنى عن حل للاقتحام ولا توجد وسيلة فى ظل هذه الحصون، ولم تسألنى عن حل آخر، بلهفة سأله الملك عن هذا الحل الآخر، وهذا السر، وقف الثعلب مختالًا، ثم أدار وجهه صوب باقى الوحوش، واعتدل مواجهًا الملك وأشار إليهس قائلًا: علمتنا الحياة وتعلمنا من الأمم السابقة من حيوانات أليفة ومفترسة بأن الحل الوحيد لتفكيكها وتشرذمها واشتداد البأس بينها هو أن..... ، ثم أفتر عن أسنانه ضاحكًا وصمت قليلاً وسط ترقب الملك والجمع، وأخذ يميس فى مشيه ويتمايل، ثم عاود القول: هو أن..... ، ثم صمت، فزأر الملك غضبًا واعتدل من مضجعه حتى أثلج الثعلب فؤاده بالقول: «هو أن تولى عليها حمارًا».

القلم والأدوات الهندسية

القلم والأدوات الهندسية

بعد أن انتهى أحد التلاميذ من أداء اختباراته؛ عاد إلى منزله فرحًا يفكر فى أول شىء يستهل به إجازته الصيفية. نظر إلى مكتبه نظرة غيظ وبغض. ثم خلع حذاءه ووضعه عليه تحقيرًا لهذا المكتب الذى حرمه من اللعب واللهو، ثم وقعت عيناه على علبة الأدوات الهندسية الملقاة على المكتب؛ فأمسك بها وقرر أن ينتقم منها شر انتقام، وألقى بها فى سلة القمامة لينتهى بها الأمر فى أرض شاسعة تضم كل أنواع القاذورات.

اشتاطت الأدوات الهندسية غضبًا وصاحت المسطرة قائلة: أنا التى صنعت الخطوط المستقيمة والأبعاد وعصمت البشرية من التعرج والاعوجاج لينتهى بى الحال إلى هنا! ردت عليها المنقلة بصوت غاضب قائلة: وأنا التى صنعت الزوايا بين خطوطك؛ لأتمم الأشكال، وأضفى عليها الجمال؛ فيكون هذا هو مصيرى! ثم بادلها المثلث بالقول: لولا أنا ما عرفت البشرية الزاوية القائمة، وما قامت الأعمدة؛ هنالك انتفض الفرجار واقفًا وقال: بفضلى أنا شُيّدت الميادين، وصُنعت الدوائر، وانطلقت العجلات الحربية والسيارات على إطاراتها الدائرية.

انتفضت الأدوات الهندسية، وتجمعت، وأعلنت للبشرية أنها منذ اليوم مضربة عن العمل، وحاول القلم الذى لقى المصير نفسه أن يثنيها عن قرارها، وأن يشعرها بأن عليها مسئولية كبيرة، وحاول أن يستثير إحساسها بالفخر والزهو بما قدمت للبشرية من تقدم وازدهار ولكن فشل فى كل المحاولات.

هرع المشتغلون بعلم الرياضيات إلى تلك الأدوات من معلمين وأساتذة جامعات واسترحموها وناشدوها بأن الطلاب قد توقفوا عن الدراسة، وأن علم

الهندسة المستوية، وكذلك الفراغية والوصفية أصبح فى خطر ومهدد بالزوال. ولم يستجب أى من الأدوات لهذا الاسترحام حتى جاء فريق من المهندسين لما استشعروا الخطر الذى سوف يلم بالتشييد والبناء وعقدوا صفقة مع تلك الأدوات المتمردة تعيد لها هيبتها وكرامتها بأن تعود إلى عملها مقابل أن يقوم ذلك الفريق من المهندسين بتشييد مدينة سكنية كل مبانيها تحاكى تلك الأدوات الهندسية فى أشكالها تكريمًا وتخليدًا لها، بعدها نظرت الأدوات إلى القلم نظرة استعلاء وتكبّر ، وأشعرته بأن الله عز وجل قد خلق الأقوام والأشياء فى تباين واختلاف، وهكذا يعلو بعضها على بعض، وأن مكانته منذ الآن قد توارت وأن دوره منذ الأزل دور مكمل.

أسرّها القلم فى نفسه حتى استقرت الأمور فى نصابه،ا وعادت الأدوات إلى عملها، وبعدها أطلق القلم المفاجأة بأنه قد أخذه النصب والتعب، وأُرهق نفسيًا مما أصبح يَخُطُه من كلام رخيص ومبتذل، وقد اتخذ من أحد قصور الثقافة مكانًا لاعتكافه لمده شهر، ونذر صومًا عن الكتابة والكلام حتى يعاود حيويته ونشاطه.

أسرع إليه المعلمون وأساتذة الجامعات ووعدوه بأن يفردوا له مقالات فى دروسهم للطلبة تمجيدًا لدوره، ولكنه لم يخرج عن صمته، ثم دخل عليه المهندسون محملين بالأدوات الهندسية وساطة وتقربًا، ووعدوه ببناء أكبر برج فى مدينة الأدوات الهندسية على شكل قلم، ولكنه مازال هاجعًا صامتًا دون جدوى، ثم دخل عليه ضابط فى زيه الشرطى، وجلس أمامه، وألقى بإحدى رجليه على الأخرى، وعقد حاجبيه ولوح له بسبّابته متوعدًا باتهامه بالإضراب وتعطيل العمل الشرطى، لكن القلم ظل قابعًا فى مكانه لم يتحرك له سن ولم يسيل له مداد.

وبعد لحظة صمت من كل المتوسلين، وبخطوات واثقة وهيبة الكبار دخل كبير القضاة وجلس إلى القلم وسط إكبار، وتفاءل الموجودون، وبصوت رخيم أثنى عليه بأنه كم خط براءة وأعتق رقابًا من الموت، وبمداده سُنت القوانين،

وأقيم العدل، وناشده العدول عن قراره حتى لا يعطل سير العدالة .. بل يصيب كل الحياة بالشلل، ووسط خيبة أمل ورجاء هذا الجمع ظل القلم وفيًا بنذره خاشعًا باعتكافه.

تسرب اليأس إلى كبير القضاة، وعمَّ الإحباط، وأُثبِطت كل الهِمم، والكل شارك القلم فى عزوفه وصمته حتى أطل عليهم أحد الأدباء الكبار بوجه مُشرق، وصوت عميق ملقيًا تحية نزلت بردًا وسلامًا فى قلوب الحاضرين، وأحسوا أنه النور الذى أتى ليقشع الظلام.

وقف الأديب أمام القلم المُلْقى على أحد الطاولات ومازحه قائلًا: -

أيها القلم! أتعلمت الحماقة من البشر؟ أم أصابوك بالغرور؟ أم تنزهت عن كتابة التُرّهات؟ أم أَنفتَ من السب والهِجاء بحروف الهجاء؟ أنا أعلم أنك لا تعيرهم اهتمامك ولا يُسرّ بمديحهم حالك، أنسيت أنك خُلدت ذكرًا وكُفيت مدحًا؟

ثم أخرج الأديب من جيبه ورقة، وما لبث أن وضعها على الطاولة حتى اهتز مداد القلم وقفز لينام بين أنامله ليخطا معا رسالة لكل الحاضرين.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

هنالك خشعت الأدوات الهندسية، وصدعت وركعت، وانحنت الجموع وعظمت وأكبرت، وأرسى الأديب القلم فى جيبه وجلس بعد أن أومأ للحضور بالانصراف كل إلى عمله .

ماما زمانها جاية

ماما زمانها جاية

دخل لص أحد المولات الكبيرة وأخذ يجوب أرجاءه بحثًا عن ضحية جديدة، ولما أتعبه البحث ساقته قدماه إلى الكافيتريا؛ فجلس، وطلب قهوة وأشعل سيجارته وبينما هو غارق فى التفكير بألا يفارق المول حتى يظفر بأية غنيمة، سمع صوت ضحكة مميزة بصوت عال، ولما تكررت الضحكة أدار وجهه حتى يرى صاحب هذه الضحكة، فوجد شابًا وفى صحبته ثلاثة من رفقائه الشباب، وفى اللحظة التى كانوا يتهيئون فيها للجلوس إلى إحدى الطاولات أقبل عليهم مسرعًا وصافحهم، وتوجه إلى الضاحك قائلًا: هذه الضحكة الحالمة سمعتها من قبل، وقد عرفتك بمجرد سماعها، وأرجو أن تُذكِّرنى باسم الغالى، ضحك الضاحك الغالى وبمنتهى السخرية نظر إليه وقال له: انظر إلى هذا الوجه الحالم أيضًا صاحب هذه الضحكة ألم تتذكره، ضرب اللص رأسه بيده وقال له: هذه الذاكرة أصبحت تحرجنى كثيرًا، ضحك الغالى وقال له متهكمًا: ألم تسمع وتشاهد أغنية « ماما زمنها جايه « ؟ أنا يا سيدى ذلك الطفل الذى كان يضحك ويكركر فى الأغنية، وأنا أيضًا الذى صحت بالبكاء فى الأغنية نفسها، جذب اللص الضاحك الغالى واحتضنه وصاح: حمادة ! حبيب قلبى .. ثم عاد واحتضنه مرة أخرى وسط ضحكات الصحبة وكل الحاضرين. تجهم الضاحك وقال له: المقابلة انتهت، صافحه اللص وأخرج هاتفه المحمول ليعطيه رقمه فرفض الضاحك الغالى، وتحت إصرار اللص بادر أحد الرفقاء من الصحبة بتسجيل رقم اللص فى هاتفه لإنهاء الموقف متسائلًا عن سبب إصراره، فأكد له اللص بأن حمادة سيحتاجه وسيتصل به يومًا ما، ثم تركهم وانصرف، وبعد أن انتهت الصحبة من جلستهم بادر كل منهم بإخراج محفظة نقوده للحساب، وسرعان ما اعتدل الضاحك الغالى واقفا وصاح: المحفظة .. المحفظة، وبعد أن

تبين الموقف أسرعوا بالاتصال باللص وفتحوا ميكرفون تكبير الصوت للهاتف. وناداه أحدهم: يالص.. يالحرامى فأجابه بنعم، وسأله هل أعطيت لنا رقم هاتفك كى ترد لنا المحفظة، فأجابهم بأن اللص من برتوكول عمله أن يأخذ ولا يرد، ولما سألوه عن السبب أجابهم بأن حمادة قد أسمعه الضحكة المشهورة، وأنه استحى أن يطلب منه سماع أنّته وصيحته بالبكاء أمام الحاضرين، ففضل أن يسمعها منه من خلال الهاتف بعد سرقته، ثم أطلق ضحكة تحاكى ضحكة حمادة وقال بتهكم: عدم المؤاخذة أنا عندى ميعاد مع ماما وسلام بقى علشان «ماما زمنها جايه». أغلق الهاتف وأحاطت الصحبة بحمادة مرددة «ماما زمنها جاية، جاية بعد شوية».

عــز ومجــد

عــز ومجــد

غمرت الفرحة قلب رجل وأحس أنه طال السماء بيده وأمسك بسحابها من شدة سعادته، فقد بُشر بتوأم من الذكور، وعقد النية وأخلص فيها بأن يَهِبَهُما لخدمة الإسلام ويحقق فيهما ما كان يتمنى لنفسه، فقد ظل طيلة عمره يصبو إلى مجالس العلم والتفقه فى الدين، ولأنه لم يحظ بقدر وافر من التعليم دعا الله أن يحقق هذا الأمل فى ولديه، وأسمى أحدهما «عز الإسلام» والآخر «مجد الإسلام»، وفى اللحظة التى أدرك فيها الطفلان الحياة أخذهما إلى الكتاتيب، وبعد أن أتما حفظهما للقرآن وعلومه وهما فى العاشرة قرر أن يبدأ مرحلته الثانية بالذهاب بهما إلى مجالس العلم، والتى لم يفهم منها شيئًا وقد أعد لهما مكتبة لكتب السيرة والفقه التى تناسب سنهما، وذات ليلة توضأ الرجل وأخلد إلى مرقده رافعًا يده إلى عنان السماء ليدعو لهما بأن يكونا من علماء الأزهر الشريف، وأن يكونا عزًا ومجدًا للإسلام الوَسَطِى الذى نزلت به الرسالة، وأن يقيهما شرور التطرف والغلو والشطط، ثم وضع خده على الوسادة شاكرًا ومستبشرًا، ولكنه قام مفزوعًا بسبب كابوس مخيف ورؤيا مرعبة، فقد رأى ولديه يقتتلان بسيفين عند أحد أبواب جهنم .. قص رؤيته على زوجته التى أخذت تُهدّىء من روعه، وأقنعته أن هذه الرؤيا هى رسالة من الله ليفعل شيئًا لأولاده ينزع به الغل والكراهية من قلبيهما، وأشارت عليه بأن يأخذهما لأداء عمرة مباركة تغسل قلبيهما، وما لبثت زوجته أن أشارت عليه حتى أخذهما إلى الحرم لأداء العمرة، وعند عودتهم انقلبت الحافلة التى كانت تقلهم عند خليج العقبة، وراح الوالد فى إغماء ونُقل إلى المستشفى، ونجا الطفلان، وحام حولهما فريقان من الشيوخ ذوو اللحى العظيمة، وتنافسا فى خطفهما، ثم اتفقا أن يظفر كل واحد منهما بطفل وتسللا بهما واحد إلى أرض الشام والآخر

إلى العراق حيث بدأت الأيدى الملعونة للصهيونية بمعاونة المخالب الأمريكية الشريرة تثير الفتن على تلك الأرض الخصبة للتطاحن، دخل «عز الإسلام» فى معسكر للتعليم والتدريب على فنون القتال، وأبت فطرته النقية وعقيدته السليمة أن تتقبل أول درس وهو خيانة السيدة عائشة للرسول، وهى أحب النساء إليه، وكذلك خداع أبيها الصديق للرسول وهو أحب الرجال إليه، انتفض «عز الإسلام» وجادلهم بتساؤله بأنه كيف للإله العظيم × ولله المثل الأعلى × أن يعجز أن يهب خاتم أنبيائه من الفطنة والبصيرة ما يكشف به خداع زوجته وصديقه؟ وعلى الجانب الآخر وفى المعسكر الثانى أبت فطرة «مجد الإسلام» النقية وعقيدته السليمة أن تتقبل أول درس وهو استرجاع الخلافة وبناء الإمبراطورية الإسلامية بالسلاح وسفك الدماء مستشهدين بأبى العباس السفاح الذى قال على نفسه × أنا السفاح المبيح، والثائر المنيح× وكيف نَكّلَ هو وأخوه وأعوانه بمن تبقى من الدولة الأموية من قطع الرءوس ونبش القبور لتقوم الدولة العباسية وتحدث النهضة، انتفض «مجد الإسلام» وجادلهم بأن مرجعنا هو الكتاب والسنة الثابتة عن الرسول، وأن الرسول (ﷺ) قد أسس أول دولة مدنية عرفها الإسلام فى المدينة المنورة بالحب والتآخى وليس بحد السيف، وامتدت رحمته لأبعد من ذلك ليتصدق على اليهودى، لم ييأس المعسكران، فالأول راهن على أن عز الإسلام سيكون على يد فتاهم المختطف، وراهن المعسكر الآخر على أن مجد الإسلام سيكون على يد فتاهم المختطف، وظلا فى دأب لمسخ فطرتيهما وتشويه عقيدتيهما .. وتمر الأيام ليزداد الأب ترديًا واعتلالًا ويدعو الله آناء الليل وأطراف النهار أن يردهما سالمَين.

ولما عَمّت الفتن أرض الشام والعراق وأصبحت ساحة للوغى؛ انطلق إليها الفتيان كل منهما على رأس جيش بعد أن نجح كل معسكر فى مسخ عقيدتيهما، علم «عز الإسلام» أن أحد زعماء الجيوش المناهضة اسمه «مجد الإسلام» فطلب لقاءه، ولما دخل عليه انهار الاثنان واعتصرهما البكاء والألم، سأل «مجد الإسلام» أخاه عن السبب الذى أتى به إلى هنا؛ فأجابه بأنه جاء ليقتله،

وينتصر للحسين وللعتبات المقدسة؛ وليقيم دولة «علىّ»، لطم «مجد الإسلام» خديه، وقال لأخيه: وأنا جئت لأقتلك؛ وأنتصر للإمبراطورية الإسلامية وأُعيد الخلافة، صاح «عز الإسلام» قائلًا : الحمد لله الذى جمعنا على أعتاب جهنم لنفر منها، ما لبث «مجد الإسلام» أن سمع تلك الجملة حتى ضرب أخاه بقبضة يده على كتفه صائحًا: هذه الرؤيا رآها أبوك، وصاحا معا: الحمد لله الحمد لله .. ثم تخفيا وتسللا حتى تمكنا من الهرب والعودة، ولما دخلا على أبويهما سقط على الأرض غير مُصدق، ولما أفاق من غشيته ابتدرت عيناه بالبكاء؛ فأسكتوه بسماع قصتيهما، رفع الرجل يديه إلى السماء وجأر إلى الله ثم أرخى يداه ليسحب بهما ولديه قاصدًا الجامع الأزهر، سجدوا فى ساحته باكين على صفحات من التاريخ طُوِيت، وهى تشهد بمجد للإسلام. ثم نهضوا مهطعين آملين بصفحات عسى أن تشهد بعز للإسلام.

قانـون الكـذب

قانـون الكذب

أشرقت شمس الصباح على سلطنة البَغْى لتسطع عليهم بمزيد من الظلم والقهر .. فقد اكتوى شعبها من شظف العيش وفقر مدقع وكساد فى التجارة، وقد عمَّ الفساد وعَظُمَ الاستبداد وتردت أحوال العباد، وفى ظل تلك الأوضاع خشى شيخ كبير على أولاده وأحفاده من بطش رجال السلطان لعدم قدرتهم على دفع الجزية فقرر المخاطرة بحياته والذهاب إلى قصر السلطان لعرض مظلمته، وعلى مسافة بعيدة من أسوار القصر التقمه الحراس واقتادوه إلى سجن القصر، وانتظره أولاده وأحفاده ولم يعد، ولما شاع خبر اختفائه فى الحى؛ أنكر أولاده معرفتهم بسبب اختفائه خشية أن يلقوا المصير نفسه المجهول، وذات صباح وبعد عدة أيام نزل السلطان من فوق عرشه ليتفقد أرجاء القصر وزواياه، وليطلع على أحواله ومجريات أموره، وبينما ركبه يسير فى الحديقة الغنّاء، وتحت أشجارها الوارفة شاهد عساكره وهم يقتادون الشيخ بزى الإعدام إلى المشانق فأوقفهم، ولما سألهم عن الخطب؛ أخبروه أن هذا المجرم هو قائد لتنظيم سرى، وقد شرع فى بدء مخططه بالاقتراب من سور القصر، ورسم الخطة لاغتيال عظمته. نظر السلطان إلى الشيخ فى تعجب فكيف لهذا الَهِرمُ المتهالك أن يقوى على ذلك!؟ فبادله الشيخ بنظرة ثبات، وبرباطة جأش وقال له: –

مولاى الكريم – أرجو ألا تشفع لى بالصفح وألا تحرمنى من المتعة التى تمنيتها على ربى بعد حسابى.

أخذت الدهشة السلطان، وكادت رأسه أن تميد ذهولًا من هذا الثبات، ولأول مرة فى حياته يشعر بالرهبة، وسأل الشيخ عن هذا التمنى وهذه المتعة، فأجابه بوجه مشرق وصوت حالم قائلًا :–

أَلْحَحْتُ على ربى بالدعاء أن يمتعنى بعد حسابى بالإطلاع والنظر إلى مقعدك فى قاع جهنم وأسافل سقر.

ارتعد السلطان، واربَدّ وجهه، واقشعر جلده، وانتصب شعره ذعرًا، ولما حاول العسكر التعدى على الشيخ، صاح فيهم السلطان وأمرهم بأن يحملوه إلى مقر عرشه، ولما مَثُلَ الشيخ أمام السلطان لم تقوَ قدماه على حمل جسده الهزيل، وسقط على الأرض، فأمر السلطان الخدم بأن يحملوه إلى الطبيب ويرعوه حق الرعاية، ويكرموا مثواه حتى يقوى على المثول أمامه. وبعد يومين وقف الشيخ أمام السلطان بعد أن استعاد عافيته، ثم أمر السلطان بإخراج كل الحراس ليختلى بالشيخ، ثم أمره بالجلوس وطلب منه أن يعاهده بالصراحة؛ فهز الشيخ رأسه، وقال له: أَبَقِيَتْ صراحة بعد ما قلته لك؟ فطلب منه السلطان أن يحكى له كل ما دفعه لهذا القول، فأجابه بأنه إن لم يكن يعلم ببشاعة الظلم الذى يقع على العباد والفساد الذى يضرب البلاد، فهو غير أهل للمسئولية وإن كان يعلم فقاع جهنم جزاء كل طاغية، وفوجىء الشيخ بهلع السلطان مما يسمع من حكايات الظلم والتنكيل، وأكد له إن كان صادقًا فيما ادعى؛ فهو فعلًا لم يكن أهلًا للمسئولية، وأمره بألا يبوح بشىء مما قاله، وطلب منه أن يدَّعى بعدما يعود لسجنه أنه ينتظر تنفيذ حكم الإعدام، ثم استدعى حراسه، وعلى رأسهم وزير الشرطة، ليشكره على يقظة رجاله، وكشفهم لهذا المخطط الإرهابى وأمره بأن يرجئ تنفيذ الإعدام حتى يُكشف النقاب عن باقى المجرمين.

تنكر السلطان فى ثوب مواطن، ونزل إلى الأسواق؛ ليسمع اللعنات التى تنصب على السلطان ورجاله، وظل ثلاثة أيام يجوب كل الدوائر والأسواق حتى أيقن بصدق الشيخ بأنه ليس أهلاً للمسئولية، وأن حكم الشعوب لا يستقيم بالنوايا الحسنة، ولا يفلح الحاكم ببطانة السوء، فأصبح وأمسى يفكر ويقدر حتى خَلُص إلى القرار، فجمع الناس فى ساحة القصر العظيمة وأقام بها منصة للقضاء، ووضع فى وسطها مشنقة كبيرة، وأشار إلى حراسه؛ فأتوا بكل الوزراء مُكبلين، واقتادوهم صوب المنصة حيث يجلس السلطان، واعتقد الناس

بأنه سيقوم بشنقهم ولكنه أخبرهم بأن الشنق قد يريحهم؛ ولذلك قرر أن يهديهم إلى الشعب خدمًا بعد أن جردهم من كل ممتلكاتهم؛ ليذوقوا وبالهم، ويدفعوا ثمن ما اقترفوه من ذنوب، وأخبرهم أيضًا بأنه لم يقم بأى خطوات إصلاحية، بل هو قانون واحد قد سنه، ويُعمل به لمدة عام وهو الشنق لكل من كذب، وأخذ عهدًا على نفسه إن لم يصلح هذا القانون البلاد فسوف يعد نفسه من الكاذبين، وسوف يحكم على نفسه بالشنق ودعا الناس أن يأتوا كل أسبوع لهذا المكان لرفع مظالمهم إليه ليحكم فيها.

احتشدت الجموع مع أول جلسة، وكانت أول مظلمة بين رجلين حيث اتهم أحدهما الآخر بأنه سرق منه كِسرة من الخبز، وعندما أنكر المتهم نظر إليه السلطان، وأقسم له أنه لو اعترف لن يقيم عليه حد السرقة، فاعترف المتهم، وأقسم أن الفقر والجوع قد دفعاه إلى ذلك، فتلا عليه السلطان الحكم بأنه قد سامحه فى السرقة ولكن سيقام عليه حد الكذب، ثم قُذف به إلى المشنقة وسرعان ما تتدلى منها صريعًا، ارتعدت الجموع، وعلموا أن الأمر لا هزل فيه، وجاءت المظلمة الثانية، فقد اتهم رجل مديرًا للشرطة بالتعدى عليه بالضرب أثناء التحقيق معه، واستشهد باثنين من جنوده، وعندما نظر السلطان إلى أحد الشاهدين وأشار إلى المشنقة، ارتعدت فرائص الشاهد، ونطق، وصدع بالحق وأقر الواقعة، وقاطعه المتهم بسرعة الاعتراف، فحكم عليه السلطان بعزله من وظيفته وجلده أمام الجموع، بعدها تقدم رجل ومعه شهوده ليتهم أحد موظفى الدوائر الرسمية بأنه أجبره على دفع رشوة، فأشار السلطان إلى أمناء المشنقة ليقتربوا من المتهم، فارتعدت مفاصله، واهتزت كل أطرافة، وتأرجح متنه، واعترف قبل أن ينطق أى شاهد؛ فحكم عليه بعزله من وظيفته، وسجنه عامًا مع جلده كل يوم أثناء سجنه. انتهت أول جلسة للمحاكمة، وتوالت الأسابيع؛ لتُعقد الجلسات دون مظالم، فقد هوت أعمدة الفساد ورُدَت الحقوق، واختفت السرقات تحت وطأة سيف الكذب وتأرجح أحبال المشنقة، وفى نهاية العام، وبعد أن أصبح العدل هو منطق السلطنة، والحق فلسفتها والنظام شرعها،

احتشدت الجموع فى ساحة القصر، واعتلى خطيبهم وفقيهم المنصة، وبصوت يملؤه الحماس قال : -

سيدى ومولاى السلطان .. جئناك من قبل صاغرين داخرين مستضعفين؛ لنبايعك قسرًا وكرهًا تحت وطأة السلاح وسطوة السلطة، وقد أسررنا فى أنفسنا الرجاء لك بالهلاك وزوال سلطانك، واليوم جئناك رضاءً وطوعًا لنبايعك ونظاهرك وناصرك، وقد أعلنا رجاءً لك بالعافية وبقاء سلطانك، فقد أضاعنا الملق والنفاق لك، والظلم والقهر للشعب، وهذا وذاك كله ثمار خبيثة لبذرة الكذب، وبعد أن اجتثت هذه الشجرة واقتلعت أعجازها، اقتلع معها الظلم وأرسيت قواعد للعدل.

فإن أردت قصرًا فى الدنيا للمُلك وقصرًا فى الجنة للخلد فلتعلم أن

*** العدل هو أساس الملك ***

الدمْيـــــة

الدمْيـــــة

دخل «أحمد» المجمعات التجارية فى أسبوع التسوق، وفى اللحظة التى كان يتفقد فيها المعروض من المبيعات وأسعارها الجديدة سمع صوت امرأة تناديه، ولما التفت إليها وجدها عمته «منيرة» هانم وفى صحبتها ابنتها التى لا تتجاوز العاشرة ، فأسرع إليها وألقى عليها السلام، ومال على الطفلة وأوسعها تقبيلًا ، ثم سألها عما اشترته فى ظل تلك التخفيضات؛ فأشارت خلفها ليجد طفلة لها العمر نفسه ابنتها مثقلة بأحمال ينوء بها الكبار من الأكياس وعلب الهدايا، ولما علم بأنها «رضا» الخادمة أقبل عليها؛ ليخفف عنها أثقالها؛ فصاحت «منيرة» هانم فى وجهه بأن هذا لا يليق به فهو عمل الخدم، وأخذت تُحَمِّلها بمزيد من الأثقال حتى مال متنها وسقطت منها علبة على الأرض؛ فصاحت عليها «منيرة» هانم، وسبتها ولم يمنعها من ضربها إلا خوفها على ما اشترته، أسرع «أحمد» وحمل العلبة من الأرض، ولما علم بأن عمته «منيرة» هانم قد أتت بسيارتها؛ عرض عليها أن يضع هذه الأثقال فيها، فرفضت، وأخذت منه العلبة، وألقت بها على كتف الطفلة «رضا»، وقالت له: أنها تتقاضى أجرًا على ذلك، ثم سحبته من يده، وأقبلت على محل للحلوى، وطلبت ثلاث قطع من الآيس كريم، جحظت عينا «أحمد» من الدهشة، ولما همَّ بشراء واحدة لـ «رضا» منعته «منيرة» هانم بحجة أنه لا يليق بهم أن تجلس معهم الخادمة، وتأكل معهم وخاصة أن هذا مكان عام، نظر إلى «رضا»، وقلبه يعتصر من الألم، وفكر أن يغافل عمته ويعطيها بعض من النقود، انتهوا من الآيس كريم ثم دعته عمته أن يذهب معها إلى البيت، فذهب معها ووصلوا فى وقت المغرب، وأخذت تطلعه على ما اشترت، ثم أخرجت من إحدى العلب دمية جميلة، وأخذت تقبل ابنته،ا وتضمها، وأهدتها الُدمية؛ فضحكت الطفلة، وهى سعيدة، وطلبت من أمها بأن تلقى بالدمية القديمة فى

المهملات، وأنها لم تعد سعيدة باللعب معها، نظر «أحمد» فى ترقب إلى عمته منتظرًا ما ستفعله ، وإذا بها تطلق صيحة تنادى بها على «رضا»، وتأمرها بأن تجمع الأكياس والعلب الفارغة والدمية القديمة، وتلقى بها فى صندوق القمامة، خارج المنزل، نظر «أحمد» إلى «رضا» ليجد وجها شاحبًا وعينين اشتد فيهما الاحمرار وبنية سقيمة، وبعد أن خرجت «رضا» أخذت « منيرة» هانم تروى له الحكايات والروايات حتى أظلمت السماء، وفجأة أسرعت بالوقوف، وأخذت تفتش هنا وهناك ولما سألها «أحمد» عما تبحث أخبرته بأن كيس النقود قد سُرق وبه مبلغ من المال وهويتها، وأخذت تصيح بالخادمة دون إجابة ثم أطلَّت من الشرفة على حديقة المنزل فلم تَرَها، عادت وجلست بجوار ابن أخيها، وقالت له سرقته «رضا» الملعونة، وهربت، ثم أخذت هاتفها المحمول واتصلت بوالدها؛ وهددته بأن مصلحة الأحداث ستكون مصير ابنته إن لم تعد بكيس النقود فورًا، على الفور صاح الرجل واتهمها بخطف ابنته، وهددها بإبلاغ الشرطة، أسرعت «منيرة» هانم وبصحبتها «أحمد» إلى قسم الشرطة لتفاجأ بأبوى الطفلة «رضا»

داخل القسم ليتهماها بخطف ابنتيهما؛ فبادلتهما بتهمة السرقة، ولما احتدم الأمر بينهما تدخل الضابط، وطلب منهما الهدوء، ثم طلب منهما الذهاب إلى بيت «منيرة» هانم فى حضور أحد رجال الشرطة لمعاودة البحث عن الطفلة «رضا»، دخل الشرطى إلى حديقة المنزل بحثًا عن الطفلة، ولم يجد شيئًا؛ فسأل «منيرة» هانم عن آخر مرة رأت فيها «رضا»، ولما أخبرته توجه خارج المنزل صوب صندوق القمامة، والكل يتبعه ليجدوها ملقاة بجوار الصندوق تحتضن الدمية، وتقبض عليها بذراعيها، وبخطوات سريعة هرعت إليها الأم ومعها «أحمد»، ولما أوقفاها لتفيق من نومتها سقطت الدمية القديمة من أحضانها؛ فمال عليها «أحمد» وأخذها واستشعر أن الشفقة والرحمة قد سقطت معها، ولما حاولت الأم التقاط ابنتها وضمها منعها زوجها، وفجأة رأى الجمع موتوسيكل يقف أمام بوابة المنزل فتوجهوا إليه ليجدوا شابًا يسأل عما إذا كان هذا هو بيت «منيرة» هانم ثم كشف عن هويته بأنه يعمل لدى محل

الحلوى، وجاء ليرد للهانم كيس النقود الذى تركته على الطاولة هنالك أمسك الأب بطفلته ثم حملها وقذف بها داخل حديقة المنزل وبصوت تعاظم فيه مقامات البلطجة صاح وقال :

البنت (دى لا مؤاخذة مش ح نستلمها) ، (إحنا) عملنا محضر خطف والواقعة ثابتة، والهانم قدمت بلاغ كاذب يتهمنا بالسرقة، وطعنتنا فى شرفنا، (واحنا شرفنا) غالى قوى..آه، والتعويض (اللى ح نطلبه) غالى قوى قوى ، والحمد لله سيادة الأمين شاهد بنفسه على الواقعتين، يعنى شهد شاهد من أهلها؛ وإن شاء الله سوف أستشهد به أمام النيابة .

عندما لاحظ «أحمد» عمته، وقد انتابها الارتباك، وارَبدّ وجهها أسرع صوب الرجل، وقبض على عضده، وهزه، وبوجه طليق قال له : -

يا رجل.. بنتك هى بنتنا، وما حدث إنما هو نزغ من الشيطان، وحقك محفوظ، ولا يمكن أن تغادر المكان إلا أن تكون مرضيًا.

ابتسم الرجل؛ وغمر وجهه التفاؤل، وبعدما أشعل سيجارته وأخذ نفسًا عميقًا نظر إلى الشرطى وقال: -

هذا هو الكلام المظبوط، بعد ما نتفاهم ونقبض، نذهب معاك ونعمل محاضر التصالح والتنازل .. ويا سيدى طلاق بالتلاتة لو أكرمونى لأتنازل لهم عن البنت.

وقف «أحمد» فى تعجب وتأمل؛ ليقرأ صفحات من الشجون والألم، نظر إلى الأم المقهورة وهى تربت على كتف ابنتها وتلملم شعرها وتنظر إليها فى حسرة وألم فى صفحة خُطت بالقهر والاستبداد، ثم نظر إلى عمته «منيرة» هانم ليجد صدرًا لم تطهره الأمومة من الغلظة، والصلف، وفى الصفحة الأخيرة من الكوميديا المؤلمة نظر إلى وجه الأب، وعليه علامات الفرحة والبشرى بالتعويض

الثمين، علامات قد روى بها بذور العقوق وحبات البغض التى زرعها فى صدر ابنته.

لم يقدر «أحمد» على طى السجل فصفحاته آتية تترى، تكتب سطورها بأقلام ملئت بمداد من صنوف الضيم وألوان العذاب.

عريس ومخاوى وملسوع

عريس ومخاوى وملسوع

عاد من عمله مهمومًا بما يَحْذَر من زوجته، فقد أَعَدَّت له الغداء، ووضعته على المائدة، وجلست أمامه؛ لِتُفْقِده الشهية بإطلاقها رصاصة التحذير الأخيرة بتركها للبيت وطلبها الطلاق إن لم يبادر بسرعة الموافقة على العريس المتقدم لخطبة ابنتهما الوحيدة، وأخبرته بأن والدتها ستأتى فى المساء لحسم الموقف وأن الموضوع جد لا هزل فيه. اكتفى الرجل باللقيمات التى دخلت جوفه بالمجاهدة، ولم يعقب ثم آوى إلى الفراش، ولكن أبت جفونه أن تتلاقى، وأخذ يقلب جنبيه على السرير، ولكن بلا جدوى فقد ذهب النوم، هَمَّ الرجل بالجلوس على السرير شارد البال ساهم الطرف لا يعرف ماذا يصنع؟ وبدون تفكير أمسك بهاتفه المحمول وطلب صديق عمره، ودعاه إلى سرعة ملاقاته خارج المنزل؛ فأخبره الصديق أنه فى انتظاره فى أحد المقاهى. جلس إليه الصديق فى أحد زوايا المقهى وعبر له عن دهشته وقلقه متسائلًا عن الأمر الذى جعله يدعوه فى وقت غير معتاد، صمت الرجل لحظة وبصوت متهدج ملأه الحزن أخبره أن موضوع عريس ابنته قد أخذ منحنىً خطيرًا، وأنه لن يوافق مهما كانت الضغوط وأخبره بما حدث من زوجته، وبما يلاقيه من لسان حماته السليط، ولما سأله صديقه عن سبب إصراره فى الرفض، أجابه بأنه يعلم كما يعلم الجميع أنه ظل عمره كله فى الوزارة يحارب الفساد ومن خلال موقعة حال بين الكثير من الناس وبين التعدى على أراضى الدولة، وأن كثيرًا من المسئولين لم ييأسوا من محاولات إزاحته من هذا الموقع والإطاحة به، والتخلص من حجر العثرة الذى يحول بينهم وبين أطماعهم الخبيثة، وعلى رأس هؤلاء والد هذا العريس الذى لم يترك طريقًا واحدًا للتجاوز إلا وسلكه، ولا رشوة إلا وطلبها، ومن المنطقى نتيجة لهذا الثراء قام بشراء شقة فى مدينة الرحاب لابنة وكذلك

سيارة فاخرة، فضلاً عن الإغراءات التى قدمها لنا لزواج ابنه من ابنتنا، ومن أجل هذه المباهج أطاحت زوجتى بكل المبادىء التى كافحنا معًا من أجلها وذلك بتسلط أمها عليها، ومحاصرتها لها حتى سلبت عقلها لدرجة أنها قالت لى نقلًا عن أمها: كفاية إنك عيشتنا العمر كله فى الشرف والأمانة والتقشف، وضيق ذات اليد، حرام عليك، خلى بنتنا (تقب على وش) الدنيا، ورحبت بالولد، وبدأ يردف زياراته إلينا.

هذه هى كل الحكاية يا صاحبى أرجوك ابحث لى عن حل، اخترع لى مخرجًا، أنا واثق بقدراتك ورجاحة عقلك، وأنت مرجعى دائمًا فى كل العثرات، صمت الصديق برهة ثم وضع يده على رأسه، وأخذ يعبث بأصابعة فى الشعيرات التى بقيت فى مقدمة رأسه، ثم اندفع قائلا: -

- لا سبيل لك إلا فى حل وحيد ولامحيص عنه
- أرجوك الحقنى به
- لكن أشك أن توافق عليه
- قلت لك الحقنى به
- الحل الوحيد هو أن تتظاهر بالجنون
- ماذا تقول!؟ جنون!
- ألم أقل لك أنى أشك فى قبولك ذلك؟
- عمومًا اشرح لى وجهة نظرك لعلها تكون ناجعة

عندما تعود إلى البيت تنتابك حالة من الاكتئاب وتلزم الصمت؛ ولا تشارك فى أى نقاش لمدة يومين، وفى اليوم الثالث تبدأ المرحلة الثانية، وهى العصبية والهياج لأى سبب لمدة يومين آخرين، أما المرحلة الثالثة والأخيرة تنتابك نوبة صرع، وبعد الإفاقة تقوم بالتعدى على زوجتك بالضرب، وذلك بما يتناسب مع مدى تغيظك منها، يعنى لو (متغاظ) منها قوى تنتهزها فرصة (وترنها) علقة محترمة.

ضحك الرجل بصوت عالٍ ضحكة تعكس تمنيه لذلك، ثم تابع الاستماع إلى صديقه، وهو يستأنف حديثه قائلًا: -

- بعدها يا صاحبى تعلن لها عن قرارك الذى لا رجعة فيه، وهو أنك ستقوم بالتعدى على العريس بضرب يفضى إلى الموت بمجرد رؤيته.
- خطة جميلة لكن لا يمكن تطبيقها، وذلك لأنه فاتك أن المجنون فى البيت لابد أن يكون مجنونًا فى مقر عمله أيضًا، وهناك هجمة شرسة على التعدى على أملاك للدولة والأوراق فى مكتبى، وسأوقف كل هذا التلاعب وكل تلك الحيل.
- بسيطة يا صاحبى وشَغْل مخك، ادعى الجنون فى شغلك، وتظاهر بأنك كنت مخطئًا فى معتقداتك، وأن الشرف والأمانة هو قضاء حوائج الناس، والعمل على إسعادهم، وعدهم بأنك ستقوم بإنهاء كل التوقيعات، ولكن بعد عدة أسابيع بحجة أنك ستقوم بتكييف كل الإجراءات مع صحيح القانون، وبعدما تتخلص من العريس، عد إلى صوابك فى عملك.

انتهى اللقاء، وعاد الرجل وقد احتدم الصراع داخله بين صعوبة ادعاء الجنون، وبين كارثة العريس، وبمجرد دخوله بيته شرع دون فى تنفيذ الخطة دون أن يقرر، واستمر حتى تبدأ فى المرحلة الأخيرة بالوقوع على الأرض مع نوبة التشنجات، صرخت الزوجة بأعلى صوت وانهارت الابنة، ولما أفاق اعتدل ثم دفع الزوجة، وألقى بها على الأرض وبصوت جِنّيِ تلا عليها قراره، سارعت الزوجة باستدعاء أمها ثم اقتاداه إلى أكبر مستشفى خاص، وهو مستشفى الدكتور «مِخاوى» للأمراض العصبية والنفسية، وبعد الكشف عليه، وعمل الأشعات اللازمة وقف الدكتور «مخاوى» أمام مكتبه بشعره المنكوش، وخلع نظارته وأمسك بـ (سكسوكته)، وأخذ يعقف شاربه مؤكدًا لهم أن المريض ليس بمريض، وأنه يدعى الجنون، ومع ذلك قام بِحَقْنِه بمجموعة من المهدئات.

عادوا إلى البيت، وأخذ الرجل يَدَّعى الارتجاف والهذيان، مما جعل حماته تعتقد بأنه ليس جنونًا، وأن جنّيًا قد لبسه واستقر فى أعضائه، وأقنعت ابنتها بأنها سوف تأتى بعراف أو بشيخ ليصرف هذا الجن، وبالبحث أتت فى اليوم التالى بِمُروِض للجن والعفاريت فضيلة الشيخ «أحمد الملسوع» ، أمسك «الملسوع» برأس الرجل وظل يتلو ثم يرنم حتى انتفخت عروقة وتغير صوته ولونه ثم صرخ وصاح : يا ساتر.. يا ساتر.

كاد قلبا المرأتين أن يتوقفا من الخوف والفزع، وسألاه عن الخطب المخيف، فأجابهما بأن الزوج ملبوس بجن بوذى من جنوب آسيا وبالتحديد من سيريلانكا، وأن الجن السيريلانكى هو أخطر أنواع الجن، والأخطر من كل ذلك أنه ليس على ديانة سماوية ليخرج بالقرآن أو الإنجيل أو التوراة، وأن البوذيه لها كتاب خاص اسمه طلسم، وأن فك طلاسمه وشفراته التى تزيح الجن تحتاج إلى وقت ومال، وأخرج من جيبه علبة وأمرهم بوضع الدهان الموجود بها على مقدمة أنفه وأسفل أذنيه ثلاث مرات يوميًا، وطلب خمسمائة جنيها تحت الحساب، ووعدهم بالتفاوض مع عفاريت سيريلانكا لتخفيض التكاليف ثم انصرف، أحس الرجل بأن صديق عمره قد أوقعه فى ورطة أخرى لا يعرف كيف يخرج منها .

بعد انقطاعه عن العمل لمدة يومين قام بزيارته أحد الزملاء، وقد فاجأ الزميل بمعتقداته الجديدة ونيته فى تغيير سياسته المتعنتة، واعترافه بأخطائه، وأخبره بأنه سيقوم لاحقًا باعتماد كل الأوراق التى فى مكتبه والتوقيع عليها بعد هيكلتها وإعطائها الشكل القانونى.

بمجرد أن خرج الزميل تحول البيت إلى ساحة للزيارات، وفى اليوم التالى اتصل به السيد وكيل أول الوزارة ليطمئن على صحته الغالية، وعن سؤاله عن توقيع الأوراق طمأنه الرجل بأنه غَيَّر سياسته وعدل مساره، وسيعمل لصالح الناس، وسيقوم بالتوقيع لاحقًا، طلب منه وكيل الوزارة بألا يبرح بيته حتى يتعافى تمامًا، وحتى يتسنى للسيد الوكيل إعداد المكتب الجديد والوظيفة الجديدة

التى تناسب مكانته الرفيعة، وتعطيه صلاحيات أكثر، بعد انتهاء المكالمة شعر بتقلصات فى بطنه بعد أن أحس بعظم الورطة، وبعد لحظات دق جرس الباب لتُملأ الشقة المتواضعة بالزملاء المحملين بالورد وأفخم أنواع الشيكولاتة، وبعد دخول حماته زادت بطنه تقلصًا، وبدأت مفاصله فى الألم، كشفت حماته عن سعادتها البالغة بهذا التغيير، وطمأنته بأن حالته هذه هى بداية عقل ورزانة، وليست بداية جنون.

وبعد أن أبلغ جهة عمله بميعاد عودته نزل من البيت ليجد سيارة فى انتظاره، فتح له السائق باب السيارة الخلفى من جهة اليمين، وأبلغه بأنه أصبح سائقه الخاص، والسيارة رهن إشارته، وطوع بنانه فى أى وقت، ولأى مكان، وصل إلى مقر عمله وقد اصطف الموظفون لتحيته، دخل مكتبه الجديد الفاخر ليجد فى استقباله صاروخًا موجهًا من النساء، امرأة يتهافت عليها مخرجو السينما لأفلام الإغراء، وقد رسم صورتها فنانو عصر النهضة لإظهار حسن المرأة ومفاتنها، اعتدلت المرأة وصافحته ونظرت إليه بوجه مرسوم بأحلى الألوان وأخبرته بأنها سكرتيرته الخاصة ومن الآن سوف تعمل على راحته، ثم صاحبته حتى جلس على كرسيه، ثم استدعت الساعى ليقدم له القهوة، ثم تركته وهو فى حالة وجوم وذهول، وسرعان ما عادت إليه ونزلت بصدرها الذى كُشف الستر عن أكثر من نصفه على المكتب وفى مواجهته لتعطيه أوراق التعدى والاحتيال ليقوم بالتوقيع عليها. نظر الرجل إلى وجهها ثم إلى صدرها، وبدأ يتصبب عرقًا، ثم اتكأ بظهره على الكرسى الدوار، وبعدها قام من مقعده متجاوزًا كل حدود التوقعات، وقفز ناحية الباب وفتحه وصاح بصوت عالٍ مناديًا فى كل الموظفين بأن يأتوا بأى ورق يريدون توقيعه، فانهالت عليه الجموع وبحركات هستيرية غير معروفة عنه قام بالتوقيع على جميع الأوراق، ثم وقع على الأرض مغشيًا عليه. تجمع الموظفون لإسعافه لكن دون جدوى، ثم قاموا بالاتصال بزوجته وأخبروها بكل ما حدث فطلبت منهم سرعة نقله إلى مستشفى الدكتور «مخاوى»، ثم طارت إلى هناك برفقة أمها وابنتها، وبعد الأشعات والكشف

المغناطيسى خلع الدكتور «مخاوى» نظارته وهرش فى شعره المنكوش ثم أمسك بـ (سكسوكته) وعقف شاربه وقال لزوجته : المرة دى الموضوع جد يا هانم، زوجك اتجنن رسمى، نظرت حماته لابنتها وقالت لها: فعلا يا بنتى، توقيعه على كل الأوراق معناه جنان رسمى، « (مبروك) يا بنتى، (مبروك) علينا كلنا، وعلى ابنتك، تعجب الدكتور «مخاوى» من هذا الفعل وتساءل عن هذا الموقف الغريب؛ فأخبرته الكبيرة بكل تفاصيل الحكاية، وطلبت منه أن يتابع حالته بنفسه ليبقى على جنونه، وله ما شاء من المال، ابتسم الدكتور «مخاوى» ثم وضع نظارته على عينه، وأتى بملف به أوراق ثم أعطاها إياه وأمسك بـ (سكسوكته) وقال لها : يا هانم أنا تحت أمركم وأعدكم أنه لن يفيق من جنونه أبدًا، وسأعطيه دواء وجلسات خاصة ليستجيب إلى كل ما تأمرونه، والمطلوب منكم شئ واحد أن يقوم بالتوقيع على تلك الأوراق لمنحى خمسة أفدنة فى الساحل الشمالى وترخيصها لبناء أكبر منتجع طبى فى مصر، أشارت إليه بالرضا ولكنها طلبت منه أن ينتظر لتتأكد بنفسها وبطريقتها من جنونه واتصلت بخطيب حفيدتها، وطلبت منه شراء بوكيه ورد وسرعة المجىء، ثم اصطحبته هو وحفيدتها، ودخلت عليه بعد أن أفاق من غشيته، وأخبرته بأن عريس ابنته جاء ليطمئن على صحته، مد الرجل يده وأخذ منه الورد، ثم ضمهن وأخذ يقبله ويقبل ابنته، ويدعو لهما بالتوفيق والذرية الصالحة، هنالك تهللت المرأة وخرجت لتبشر الدكتور «مخاوى» بأن له ما يشاء، استبشر وسمح لهم جميعًا بالانصراف، خرجوا ليجدوا سائقه الخاص منتظرًا بسيارته بجوار سيارة العريس، طلبت الكبيرة من السائق أن ينتظر، وطلبت من العريس أن يجلس وبجواره عروسه فى سيارته، وطلبت من ابنتها أن تأخذ زوجها، وأطلقت عليه عريسها الجديد، وتجلس خلف ابنتها وعريسها، ثم اتجهت صوب سيارة العمل، وقبل أن تستقلها، أمسكت بالملف ولوحت به للدكتور «مخاوى»، وأطلقت زغرودة دوت فى المكان، وملأت كل المسامع، ثم رفعت يديها إلى عنان السماء، وبأحدهما الملف وبصوت عالٍ أطلقت دعوتها: (يارب.. يارب.. أَدِم علينا نعمة هذا الجنون ولا ترد عليه

عقله الذى أذهبته، وأن تَمُن على كل غشيم باللين فى ضميره، وتهب كل مُتَعَنّت جنونًا) ثم ركبت بجوار السائق، وانطلقت السيارتان.

كَفْر الهَلاهلـــة

كَفْر الهَلاهلـــة

انتفضت وزارة التربية والتعليم لمجرد سماعها باسم الوزير الجديد الذى عُهد إليه بالوزارة خلفًا لوزير قد ترهلت فى عهده الوزارة وكثرت المشاكل، فكان خليقًا به بأن يقوم بعمليات تطهير وتغيير وتطوير، تداعت جميع المديريات والإدارات التابعة للوزارة بالجدية والصرامة والانضباط لهذه الانتفاضة، ودب الرعب فى قلوب مديرى المدارس، وتسرب الشعور بالإحباط لدى السادة المدرسين، فقد أُنهكت قواهم داخل أسوار المدارس من كثرة الضغوط ومشاكل الطلبة، وقد ضاقوا ذرعًا من مطاردتهم وملاحقتهم خارج أسوار المدرسة بدعوى الدروس الخصوصية ولا يريدون مزيدًا من الضغوط وتعكير صفو البال. بعد أيام قليلة تولى معالى الوزير مقاليد الوزارة وقد أطاح بكل النواب والمستشارين والمعاونين ووكلاء الوزارة القدامى، وأتى بفريقه المعاون ورجاله المخلصين. وفى أول اجتماع له بفريق عمله أكد على تغيير سياسة الوزارة فى المراقبة والمحاسبة وشدد على تغليظ العقوبة لكل من خالف أو تقاعس، وبعد إطلاعه على خريطة زيارات المدارس السابقة وجد أنها كلها تصب فى مدارس متميزة وفى أحياء راقية وقريبة من مبنى الوزارة، ذلك الأمر الذى أغضبه، وأمر المعنيين بالأمر أن يَعُدّوا له قائمة بأسماء المدارس التى تقع فى أقاصى القرى والكفور والنجوع. وفور انتهاء الاجتماع هُرع المسئولون إلى الكشوف والبيانات والإحصاءات وأجهزة الحاسب لحصر هذه المدارس، ورصد أماكنها وجمع البيانات والمعلومات عنها وعن العاملين بها. وما أن انتهوا عرضوا كشوفهم مشفوعة بتحرياتهم واستخباراتهم بأسماء المدارس الواقعة فى الكفور والنجوع والعزب على معاليه. تسرب الخبر من أروقة الوزارة إلى المديريات فالإدارات، وبات كل مدير مدرسة فى قرية بعيدة أو مكان ناءٍ على كابوس الوزارة والوزير.

وهمَّ الكل باستخباراته لمعرفة المدارس التى سوف تداهمها الوزارة. وبعد أيام تسربت أخبار شبه مؤكدة بأن أول زيارة للوفد الوزارى ستكون إلى مدرسة الهلاهلة بكفر الهَلاهلة.

علم الأستاذ «غباشى» مدير المدرسة بهذا الخبر السىء وبهذا النبأ المشئوم، فدب الخوف فى قلبه وارتعدت فرائصه، وبات ليلة أبت فيها جفونه أن تُرخى؛ فقد أَقَضَّ الهَمّ مضجعه. وفى الصباح، وبعد ليلة ذاق فيها، ولأول مرة، كوابيس اليقظة توجه إلى المدرسة ليجد فى انتظاره نذيرًا من قِبل الإدارة التعليمية ليحذره ويأمره بأن يعد العدة ويرابط هو وكل العاملين فى المدرسة لِتلقّى الهجمة المحتملة من الوزارة، ووعده بسرعة إرسال فريقٍ من النجارين من الإدارة لترميم جميع مقاعد التلاميذ وكذلك طاولات المدرسين ومكاتبهم والإداريين، والتى لم يعد أى منها سليمًا .

بعد رحيل مبعوث الإدارة هُرع الأستاذ «غباشى» إلى كل العاملين بالمدرسة ودعاهم إلى اجتماع طارئ وعاجل، وبعد أن ألقى عليهم التحية وبصوت شُدت فيه أوتار الاستعطاف والاسترحام قال: –

يا إخوانى .. إن الخطر الداهم والمحتمل سوف يلحق بكل منا إن لم نتعاون جميعًا، ومعنا كل أهل الكفر، وهذه أول تجربة نخوضها، ولا نريد أن تُخَلِف لنا ذكرى سيئة. سأقوم بنفسى مع عمال المدرسة بعمل النظافة اللازمة، وأرجو مشاركتكم، وأنتم تعلمون أن نظافة مدرستنا تحتاج إلى وقت طويل ومجهود شاق. وأرجو من السادة المدرسين سرعة التخلص من (الحصيرة) الموجودة فى حجرتهم، وكل واحد منهم يأتى بكرسى من بيته ليجلس عليه.

هنا تدخل أحد المدرسين ويدعى الأستاذ «هنداوى» سائلًا :–

هل سنُبقى يا أستاذ «غباشى» على الكرسى هنا أم سنرده إلى منازلنا بعد انتهاء الزيارة ؟

رد الأستاذ «غباشى» وهو غاضبًا وقال : –

ياعم «هنداوى»: حاول أن تُرَكّز فى الموضوع نفسه، وبعدما ننتهى من هذا الهمّ، فأنت حر بأن ترده أو تُبقى عليه أو حتى تبكى عليه.

ووسط ضحكات الحاضرين غَلِى الدم فى عروق الأستاذ «محمد» مدرس اللغة العربية، والذى يعادل المدير سنًا، ولكنه لم يخضع له مرة، واعتدل واقفًا وبغضب قال: -

ما هذا الهُراء؟ وما هذه المهزلة؟

قلّب الأستاذ «غباشى» كفيه وأدار رأسه يمينًا ويسارًا وقاطع حديث الأستاذ «محمد» قائلًا: -

يا ساتر... أعوذ بالله! هذا ما كنت أخشاه. يا أستاذ «محمد»: يا عم «محمد»: أرجوك أن تثنى نفسك تمامًا عن هذا الموضوع واتركنا وشأننا، ولا تشارك فى جهالتنا، ولتعذر ضعف أنفسنا وهذا رجاء منا بذلك، هل من الممكن أن تحقق رجاءنا؟

ابتسم الأستاذ «محمد» ابتسامة تعكس مدى تميزه من الغيظ وتوجه للحاضرين قائلًا: -

أنا لن أطيل عليكم ولن أحبط لكم همة، ولكننى سأوضح لكم أمرين مهمين، وبعدها ونزولًا على رغبة السيد المدير سأترككم، ولن أشارك فى جهالتكم. الأمر الأول أن السيد المدير تذكّر أخيرًا أن هناك مصطلحًا اسمه نظافة المدرسة، وأفهم من ذلك أن نظافة المدرسة أمر ليس من مسئوليتنا، بل هو شىء نتجمّل به أمام ضيوفنا. الأمر الثانى والعجيب أن السيد المدير يُحمّل نفسه ويُحمّلكم معه مالا تطيقون لكى تُخفى إمكانيات المدرسة الضحلة من تهالك المبنى ونوافذه، وخراب دورات مياهه وغيرها وغيرها.

وفجأة احمر وجه الأستاذ «محمد»، وانتفخت عروقه وبصوت الثائر قال: -

يا ناس: أفيقوا، من يحاسب من؟ هذه اللجنة القادمة إلينا، والتى تخشون حسابها حَرِى بنا أن نقيم نحن لها هنا منصة ليست للتكريم كما تحبون، بل منصة للمحاكمة والمحاسبة. فأنتم تعلمون جيدًا بأنهم هم المعنيون بسد جميع احتياجات المدرسة، هم المعنيون بقضاء حوائج المعلمين، ويكفوهم المسألة فى أروقة ومكاتب الإدارات، وكأنهم يتسولون. هم المعنيون وأنت معهم بتهيئة الجو النفسى للمعلم بأن يبرز أحسن ما عنده، فالمعلم ليس موظفًا عاديًا يقوم بتوقيعات وأختام، وهو مشغول بالكلمات المتقاطعة، أو يُقلّب فى دفاتر، وهو يحكى لزملائه عن تَمرّد أولاده وطلباتهم، المعلم يقدم علمًا يحتاج إلى ذهن صافٍ ونفس غير مثقلة بهموم وضغوط ولجان للمحاسبة، وأخرى للعقاب، ويكفى أن الوزارة نجحت بجدارة بنقل التلاميذ من مقاعدهم بالمدرسة لتلقى العلم إلى بيوت المعلمين ومراكز الدروس الخصوصية، فعلى من نلقى بالتهمة؟ على من استغل الظروف، أم على من صنع وهيأ الظروف . يا ناس : أفيقوا!

ثم لوح بيده اليمنى واتجه صوب الباب وترك الاجتماع وخرج. وتبعه الأستاذ «غباشى» إلى الباب وظل يرقبه حتى تأكد أنه خرج من باب المدرسة، ثم اعتدل مواجهًا للحضور مخاطبًا لهم بقوله : –

أنتم تعلمون جيدًا أنه يريد أن يخرب علينا كل شىء. فلسفة فارغة، وقَيامة فاضية، (قال إيه ! مين يحاسب مين ؟ دا باين عليه اتجنن، وعاوز يودينا فى داهية) .

تعالت ضحكات السادة الحضور ثم وجّهوا بعض الأسئلة للسيد المدير الأستاذ «غباشى»، فقد سأله الأستاذ «فرغلى» عن كيفية إقصاء الأستاذ «محمد» فى ذلك اليوم الموعود، وسأله الأستاذ «عويضة» عن كيفية مرور الوفد الزائر من طريق المَربط، وتساءلت الأبلة «فريحة»، وهى أقدم المدرسات فى

المدرسة عَمّا إذا كانت تطلب من المدرسات إعداد بعض الأطعمة والحلوى لتقديمها للضيوف.

استبشر الأستاذ «غباشى» بهذا التجاوب وهذا التفاعل وأجاب قائلًا :

بالنسبة للأستاذ «محمد» فاطمئن يا أستاذ « فرغلى» هناك خطة لإقصائه؛ لأن وجوده سيضيعنا، وبالنسبة لوعورة طريق المَربط، وكذلك كيفية الضيافة نُطَمئِن الأستاذ «عويضة»، والست «فريحة»، ونُطمئِن كل الحاضرين، الليلة عندى اجتماع مع جناب العمدة وكبراء الهلاهلة لمناقشة مراسم الاستقبال، وجناب العمدة كعادته سيكفل ضيافتهم، وأنا متأكد أنه لا يوجد هِلهلى واحد من الهلاهلة سيدخر جهدًا، أو يكون موقفه سلبى، والآن يا أحبتى هيا بنا نُشَمّر عن سواعدنا رجالًا ونساءً لنستهل على بركة الله أعمال النظافة .

انتهى الاجتماع؛ ليشارك السيد المدير والسادة الوكلاء العمال، وكذلك معظم العاملين فى عمليات النظافة كل حسب طاقته وطبيعته .

بمجرد أن أرخى الليل سدوله توجه الأستاذ «غباشى» إلى دوّار العمدة والذى يقع الكفر تحت إمرته ليجد العمدة فى انتظاره وبحضرته لفيف من كبراء الهلاهلة. بعد تبادل التحية جلس الأستاذ «غباشى» فى صدر المجلس بجوار جناب العمدة، ودأب لفيف من الشباب على ملاحقة الضيوف بكئوس الشاى والقهوة وكل ما يطلبونه. بدأ جناب العمدة حديثه بتحية الحاضرين، وأثنى عليهم وعلى تعاونهم، ومشاركتهم فى كل المواقف، وطلب منهم أن يظلوا دومًا لُحمة واحدة، ثم ابتسم وزف إليهم البشرى بأنه عَلِمَ بميعاد قدوم الوفد الوزارى، تهلل الحاضرون، وتعالت أصواتهم بالثناء والفخر بقُدرة ومَقدرة عمدتهم، وتساءلوا كيف أتى بهذا الخبر بهذه السرعة، وفى ظل هذا التهليل، وذاك التساؤل لوح الأستاذ «غباشى» لجناب العمدة بلهفة لمعرفة ميعاد قدومهم.

طلب العمدة الهدوء من الحاضرين، وبطيبة قلب وبصوت تنصهر نغماته فى هموم الهلاهلة ومشاكلهم قال: -

أولًا نطمئن الأستاذ «غباشى» أن الوفد سيأتى إلى الإدارة التعليمية يوم الأحد القادم ليصطحب مندوبًا منها ثم يتوجهوا إلى قريتنا، واليوم كما تعلمون الأربعاء، يعنى مازال الوقت كافيًا لترتيب أوراقنا، أما عن معرفتى بميعاد الزيارة ومراسمها؛ فقد اتصلت بالحاج «حجيبو» وبعد ساعتين أتانى بالخبر.

تعالت الأصوات مرة أخرى بالتهليل والفخر والتعجب وأخذ البعض من الحاضرين يعبر عن رأيه، فمنهم من قال إن الحاج «حجيبو» دا مش أى عضو مجلس شعب، ورد عليه الآخر قائلًا: الحاج «حجيبو» عضو مخضرم، وخلّى بالَكم عمى الحاج «حجيبو» (عمره ما حط خبر فى دماغه إلا ما كان بيجيبو) (بسم الله ما شاء الله) وعموما يشكر، رد عليه رجل فى الجهة المقابلة قائلًا: يعنى إيه يشكر؟ دا أقل واجب لبلدنا، دا مفيش هلهلى واحد يَحِقُ له الانتخاب إلا وأعطاه صوته. أشار إليهم جناب العمدة ليعودوا لهدوئهم، ثم استأنف حديثه قائلًا: -

المشكلة الكبرى التى تواجه بلدنا منذ الأزل وهى المربط وطريق المربط المؤدى إلى المدرسة، عمال النظافة من باكر سوف يعكفوا على تنظيف (وسعاية) المربط، وأمرت أصحاب الحمير أن يقوموا بتنظيف حميرهم، وتزيينها ببرادع جديدة ذات ألوان مبهجة، ولفيف من الخفراء ومعهم شيخهم سيتابعون الأعمال مع مهمتهم الأساسية، وهى حفظ الأمن، وطبعًا ضيافتهم ستكون عندى هنا. أما عن استبعاد الأستاذ «محمد» فقد اتفقت مع الأستاذ «غباشى» بأن يقوم بتكليفه رسميًا فى ذلك اليوم بمهمة سوف يقضيها فى الإدارة، وأنا شخصيًا سوف أطلب منه أن يمتثل لطلب المدير، وكما تعلمون بأن الأستاذ «محمد» رجل كبير ولا يمكن أن يرفض لنا طلبًا.

انتهى اللقاء، وتفرق الجمع بعد أن اتفقوا على كلمة سواء، وأحس كل أهل الكَفر بأنهم أمام تحدٍ كبير، فدأب الأطفال على القيام بأعمال النظافة فى المدرسة، كما انتشروا أيضًا بعد يومهم الدراسى فى الأزقة والحارات ليرفعوا عنها القمامة والمهملات، وحرص كل هِلهلى على أن تظهر بلدته بمظهر لائق ومُشَرِّف.

وأصبح الأستاذ «محمد» فى حيرة؛ فقد كان عازمًا على إطلاع اللجنة الوزارية على التردى الذى وصل إليه حال التعليم، والإهمال الذى يتقاسمه كل من العاملين والمسئولين، وفى الوقت نفسه، قد قبل التكليف بالذهاب إلى الإدارة فى ذلك اليوم بناءً على رجاء العمدة، وأخذ الأستاذ «محمد» يفكر فى طريقة لفضح ما عزم المدير على ىستره حتى اهتدى إلى فكرة وأعد لتنفيذها، وانتظر حتى مساء يوم السبت، ومع أول ساعات الليل تسلل إلى بيت عامل البوفيه فى المدرسة، ودق عليه الباب، فتح له العامل وفوجئ به، وهو يقول له: السلام عليكم يا «عسران»، ممكن تسمح لى بالدخول، رحب به «عسران» ثم استضافه داخل المنزل المتواضع، نظر الأستاذ «محمد» إلى «عسران»، وابتسم فى وجهه وقال له:-

> أنا عارف يا «عسران» بأنك تتساءل عن سبب الزيارة، وخاصة أنها لم تحدث من قبل، عمومًا لن أطيل عليك، هل تعلم يا «عسران» أنك ابن حلال، ونيتك حلوة، الموضوع يا سيدى أننى كنت اليوم فى زيارة أحد رجال البِر وأعمال الخير ببلدة بعيده عن بلدتنا، ولما عَلِم باحتفال الغد أرسل معى بعض الهدايا للضيوف، وأعطانى هذا المسحوق للتلاميذ، هذا المسحوق يا سيدى فيتامينات شديدة التركيز تجعل التلاميذ فى منتهى النشاط واليقظة.

رد «عسران» بصوت منخفض - متعجبًا - وقال: -

وعدم المؤاخذة يا أستاذ «محمد». أنا مالى بهذا الموضوع؟

بسرعة رد الأستاذ «محمد» وقال: -

لا تتعجل يا «عسران» سآتيك بكل الحكاية، ولا تقاطعنى، هذا المسحوق ستخلطه جيدا مع السندوتشات التى تبيعها للطلبة فى الصباح.

اتسعت حدقتا «عسران» من الدهشة، وخفق قلبه من الخوف، وقبل أن ينطق داهمه الأستاذ «محمد» بالقول: -

يا «عسران» : اهدأ، واسمع الحكاية حتى آخرها.

ثم أخرج من الكيس جزءًا من المسحوق ووضعه فى فمه وقال:

أعمل هذا لكى يطمئن قلبك، المهم يا أخ «عسران» عندما أعطانى الرجل الطيب مسحوق الفيتامينات للتلاميذ؛ قلت له: الحقيقة أن المحتاج للفيتامينات والمساعدة هو «عسران» عامل البوفيه الذى سوف يقدم الفيتامين للتلاميذ.

ثم اعتدل الأستاذ «محمد»ن وصمت قليلًا وقال:-

الله يكرمك يا حاج «محفوظ»، ويزيدك من نعيمه.

بانت البشرى على وجه «عسران»، وقال: -

هل الحاج محفوظ هذا، أهو رجل البر الذى كنت فى زيارته؟

ابتسم الأستاذ «محمد»، ووضع يده فى جيبه، وأخرج مبلغًا من المال وقال:-

نعم يا سيدى هو رجل البر، وبمجرد سماعه عن حالتك، وضع يده فى جيبه، وقال لى: اعتذر للأخ «عسران» بالنيابة عنى، فلم يتبقَ فى جيبى سوى هذه الثلاثمائة جنيهًا، مُد يدك يا عسران، وخذها، وأكثر من الدعاء للحاج «محفوظ» واعمل بوصيته فى المسحوق.

مد «عسران» يده، والتقم الثلاثمائة، وكشفت ابتسامته عن نواجذه وقال:-

يا سلام يا أستاذ «محمد». زى ما يكون الحاج «محفوظ» مكشوف عنه الحجاب ومطّلع على أحوالنا، فقد أرسل هذا المبلغ فى الوقت الذى فشلت فيه أنا وزوجتى فى تدبيره لحاجة مُلِحة فى هذه الأيام، لكن فضل ربك وكرمه أن هذا الرجل شعر بحاجتنا، مثلما قلت لك: الناس البركة مكشوف عنها الحجاب، وبالنسبة لسفوف الفيتامينات لا تحمل همًا سوف أخلطه مع السندوتشات فى صباح الغد إن شاء اللّه.

انصرف الأستاذ «محمد» وهو يشعر بالزهو لما فعل هو، فى صباح يوم الأحد فى الساعة العاشرة، وصلت سيارة فارهة إلى المربط تلك (الوسعاية)، كما يطلق عليها الهلاهلة، ووقفت لأنها لم تجد سبيلًا لإكمال السير، ونزل منها ثلاثة (بهوات) وامرأة بالغة الأناقة، ومندوب الإدارة، وقفوا فى وسط (الوسعاية) فى دهشة غير مُصدقين؛ فقد أُحيطوا بدائرة من الحمير التى زُينت ببرادع مبهجة اللون، وأمام كل حمار رجل يمسك به، انفعل كبير (البهوات) وقال: ما هذا الذى يحدث؟ هرع إليه الأستاذ «فتّوح» المُكلف باستقبال الوفد من مربط الحمير حتى المدرسة وقال له: يا سعادة البيه ما كان هناك أى داعٍ لقدوم الهانم مع سيادتكم، الطريق إلى المدرسة ضيق، ولا يتسع لأى سيارة وغيرً مُمَهد لدراجة، ولا موتوسيكل، والمواصلة الوحيدة هى .. لا مؤاخذة يا باشا (اسم اللّه) على مقامك هى الحمير، نظر كبير (البهوات) إلى مندوب، الإدارة وقد اِربَدّ وجهه من الغضب وألّسِنَة من اللهب تكاد تتطاير من عينيه، وقبل أن يتكلم نظر إليه المندوب وبصوت مُرتعد ولسان متلعثم قال له: -

> يافندم حاولنا نقنع الهانم بأن تنتظر فى الإدارة لوعورة الطريق، ولكنها رفضت، وقدا حدث ذلك أمام سيادتكم، وعمومًا يافندم بسيطة. إن شاء اللّه الهانم تشرفنا فى بيت العمدة وستجد كل الحريم فى استقبالها.

تغير لون وجه الهانم من الإحباط الذى أَلَمَّ بها، فكيف تقضى هذه الساعات وحدها؟ أو مع بشر لن تتوقع بأن تسعد بلقائهم ولم يسبق لها مجالستهم، وفى تلك اللحظة صاح كبير (البهوات) فى وجه مستقبليه بأنهم لن يمتطوا أيًا من الحمير وسيسيرون على الأقدام، وبصوت هادىء أثار تنهدًا لصدور (البهوات) من الغيظ أخبرهم الأستاذ «فتوح» أنه يستحيل السير على الأقدام وسط الأحراش والأحجار والأشجار المُهدّلة، ولا مناص ولا محيص من امتطاء الحمير، فكر كبير (البهوات) للحظة أن يعود إلى وزارته ويلغى المتابعة لصعوبة الوصول إلى المدرسة ثم أسعفه خياله بصورة معالى الوزير المقتضبة والمخيفة فَعَدَلَ عن الفكرة، ثم أسعفته قدماه بالاقتراب من أقرب حمار وعَبّر عن مخاوفه من أن يطيح من فوق ظهر الحمار، فطمأنه الأستاذ « فتّوح" بأن كل شىء معمول حسابه، وأن كل حمار على صهوته فارس مقدام وما عليه إلا أن يحتضن الفارس فوق ظهر الحمار.

امتثل (البهوات) راغمين، وأمروا السائق بأن يوصل الهانم إلى بيت العمدة، وبدأ موكب الحمير فى السير، وحمير (البهوات) تتوسط جمعًا من حمير المستقبلين، ولفيفًا من رجال الأمن من الخفراء تحت لواء مدير أمنهم شيخ الخفر، وبعد دقائق قليلة نزلت الهانم من السيارة متجهه صوب مدخل بيت العمدة حيث وقف فى استقبالها لفيف من النساء اللاتى ملأن سمعها بالزغاريد، صعدت الهانم السلالم الثلاث حتى وصلت إليهن فاصطحبوها للداخل وأحاطوها بنظرات الإعجاب وأخذن يتفحصن أناقتها، والتفت حولها الفتيات بهواتفهن المحمولة لالتقاط صور معها سوف يشهد لها التاريخ، وشعرت بالسعادة عندما علمت أن هذا الفرح لها، ولوفدها، وخاصة عندما رأت النساء أمام الفرن البلدى، وهن يصنعن الفطير، ثم صعدت للدور العلوى لملاقاة الحاجة الكبيرة زوجة العمدة، وهى تشرف على باقى النساء فى أعمال الطهى. وعلى الوجه الآخر وفى تلك الأثناء وبعد رحلة شاقة وتجربة أليمة محفوفة بالمخاطر بالنسبة (للبهوات) تخطى ركب الحمير الطريق، وظهرت معالم

المدرسة والذى زاد منظرها من اكتئاب (البهوات)، ونزل كبيرهم من فوق ظهر الحمار متسائلًا عن كم الحمير الذى يحيط بسور المدرسة، وعلم أنها وسيلة التنقل للتلاميذ والمعلمين، وقف الأستاذ «غباشى» عند باب المدرسة. هو وعدد من المدرسين لاستقبال الوفد ثم تبعهم إلى مكتبه وجلسوا فى مكان ليس أسعد حالًا مما رأوا، وأخذ يردد عبارات الترحيب، وعندما دعاهم للإفطار؛ صاح فى وجهه أحدهم، وأمره بأن يمهد لهم الطريق إلى الفصول فهرول الأستاذ «غباشى» إلى خارج مكتبه ليجد أحد المدرسين فى مواجهته ويصدمه قائلًا : -

(إلحق)..إلحق).. يا أستاذ «غباشى»، مصيبة كبرى، العيال كلها عندها إسهال.

هنالك لطم الأستاذ «غباشى» خديه، وندب حظه، وكتم دموعه وقال: -

- يا خراب بيتك يا «غباشى»، ياسنينك السودة والزرقة!

ثم وقف مشلول الفكر والحركة، حتى خرج من مكتبه أحد وكلائه يعنفه على تأخره، ويبلغه غضب الزائرين، ولم يتلقّ إجابة منه، وكأنه غُيب، فأسرع الوكيل ودعاهم بالتفضل بتفقد الفصول، خرجوا وفى ذيلهم السيد المدير الذى عَطب لسانه وأصيب بالسكتة، وعندما اقتربوا من الفصول لاحظوا هرولة التلاميذ هنا وهناك، وعندما دخلوا بعضها واطَّلَعوا على حالها المُزرى والمتردى وجدوا التلاميذ مازالوا فى حركة مستمرة من الدخول والخروج؛ ولما طلبوا من المدير أن يفسر لهم هذا الأمر المريب، همهم بحروف غير مفهومة ومازال لسانه فى سكتته، وأجابهم وكيل المدرسة بأن الأولاد أصيبوا بإسهال حاد، وهذه الحادثة غريبة، ولم تحدث من قبل، ولما طلبوا من المدير تفقد دورات المياه، نظر إلى وكيله بعين جاحظة، ثم أدار وجهه صوب الزائرين بالعين نفسها، ووضع يده على فمه، وكأنه يشير إلى العَطب الذى أصاب لسانه، ولم يعقب، وأسرع الوكيل بالرد بأن عندهم مشكلة كبيرة وقديمة بالنسبة للحمامات، وقد خاطبوا الإدارة أكثر من مرة، وأخذوا وعودًا بعرض الأمر على هيئة الأبنية وأن الحاج «حجيبو» عضو

مجلس الشعب منذ عامين، وهو يبحث عن اللجان المعنية بذلك الأمر تحت قبة البرلمان، ولما جدد الوفد سؤاله عن مكان دورات المياه مرة أخرى؛ لم يعقب هو الآخر، مما أضطر الوفد بأن يتتبع التلاميذ، وعندما اقتربوا من الحمامات لاذوا بالفرار؛ فقد عجزت حواسهم تحمل ما وجدوا، عاد الوفد إلى حجرة المدير، وجلسوا لحظات صامتين حتى يستوعبوا ما حدث، ويتأكدوا بأن هذه الأحداث حقيقة، وليست كابوسًا، وبعد أن أدركوا أنها حقيقة مريرة شاركوا المدير فى عَطب لسانه، وظلوا على صمتهم ليلوح فى مخيلة كل منهم سؤال واحد .. كيف يعرضون هذه الكوارث على معالى الوزير؟ وفى محاولة لإصلاح العطب الذى أصاب لسانه تلعثم السيد المدير، وبصوت متهدج تُقَطِّعَهُ أنفاسه المتلاحقة قال : ما العمل يا أسيادنا؟ أنا تائه ولا أدرى ماذا أفعل؟ نظر إليه الكبير ببغض وازدراء وقال له: لا تسأل عما ستفعل، بل اسأل عما سَيُفعل بك. هنالك أدرك أنه سَيُنَكل به؛ فآثر أن يعود إلى سكتته منتظرًا مصيره المُظلم بعدما أناخ عليه البؤس بكلكله، وطلب الوفد إحضار عامل البوفيه، دخل عليهم «عسران» وهو يرتجف وكل جوارحه تنسجم مع اسمه، وبمجرد سؤاله عن مصدر الطعام الذى قدمه اليوم للتلاميذ، خر وصدع بالأمر، واعترف بالحقيقة، وصَدَّق على أقواله بالبصمة، ثم رفع يديه إلى السماء بالدعاء على الأستاذ «محمد».

قبيل انتهاء اليوم الدراسى؛ غادرت اللجنة المدرسة وحميرها تتوسط الركب؛ حتى وصلت إلى بيت العمدة فى انتظار نزول الهانم، وبعد لحظات خرج جناب العمدة بخطوات ثابتة، وبوجه باسم تملؤه الثقة، وأخذ بيد كبيرهم، ولوح للآخرين بالتفضل بالدخول، ولما أبدوا اعتذارهم داهمهم بيمين مغلظ بطلاق ثلاث بأنه، لا مندوحة، ولا محيد، ولا مناص، ولا مفر من الدخول، وأن الهانم قد وقعت فى الأسر، ولن تخرج إلا بعد الضيافة. لم يجد الوفد ملجًأ للإفلات فامتثل ولبى الدعوة.

دخل الضيوف ليجدوا عددًا من كبراء البلد وسادة عائلاتها فى استقبالهم، وجلسوا إلى مأدبة تزاحمت عليها مختلف أنواع لحوم الطير وغيرها مما تشتهى

الأنفس، دعا جناب العمدة الضيوف للشروع فى الطعام وأخبرهم بأن الهانم فضَّلت أن تتناول طعامها فى الدور العلوى مع الحريم. وأخذ يجاذبهم الحديث، وظل فى دعوته، ومراقبته لهم حتى أتخمهم، وبعد أن انتهوا نزلت الهانم والسعادة والبهجة مرسومتان على وجهها، خرجوا إلى السيارة فى اصطحاب العمدة؛ ليجدوا ثلاثة من العمال يحملون خمسة لفافات، وطلبوا من السائق وضعها فى شنطة السيارة، فصاح الكبير بسؤال العمدة عن هذه اللفافات، وقبل أن يجيبه العمدة أسرع السائق وألقى بها فى شنطة السيارة مما أثار حفيظة الكبير، والذى زاد من غضبه الضحكة التى أطلقتها الهانم بصوت عالٍ لما صنعه السائق، وفى تلك اللحظة اقترب العمدة من السيارة وأغلق الشنطة، ووضع يده عليها وابتسم فى وجه الكبير قائلًا: -

(دا فضلة خيرك شوية فطير مشلتت تفتكرونا بيهم، ومن سلو بلدنا لما العمدة يقفل شنطة، ويضع يده عليها ماينفعش تتفتح تانى)

ركب الكبير السيارة ومعه رفاقه، وبعد أن انطلق السائق أطلقت الهانم ضحكة مدوية لما أصاب رفاقها من أهوال وإحباط، ثم وجهت سؤالًا للسائق عن رأيه فى الرحلة، فترك عجلة القيادة وهز قبضتيه وقال: -

(رحلة مِية مِية، أكل.. يا سلام.. ولا فى الأحلام، والطيور دى بقة دى طيور الجنة إللى كنا بنسمع عنها، وشمّوا بقة رائحة الفطير إللى بتشعشع فى الدماغ)

ضحكت الهانم ولم يتمالك رفاقها أنفسهم؛ فشاركوها الضحك، وتساءل كبيرهم: ماذا بعد الضحك على هذه المسرحية الهزلية؟ وأكد لزملائه أنه لا يمكن كتابة التقرير لمعالى الوزير بالصيغة المعتادة (كله تمام) ووافقه الزملاء على أن يكتبوا الحقيقة، وألا يكتموها خاصة، وأن معاليه له استخباراته الخاصة، وهم لا يأمنون غدره، ولا يطيقون عقابه.

فى الليل تهللت الهلاهلة، فقد علموا بأن إحدى القنوات الفضائية ستجرى حديثاً هاتفيًا مع الأستاذ «محمد»، وتجمعت أفراد كل أسرة فى القرية أمام الشاشة الصغيرة؛ لتطرب بسماع اسم قريتهم، وهى تدخل التاريخ عبر الفضائيات، بدأ البرنامج وسط ترقب ومشاهدة الهلاهلة، وبمجرد أن سأل المذيع الأستاذ «محمد» عما حدث، انطلق بلسانه الحاد بإلقاء مسئولية احتضار كل مرافق الكَفر وانهيارها، وتردى مدرسته، وكل منظومة التعليم على عاتق المحافظين المتعاقبين بأكملهم، وكذلك وزراء التعليم، واعترف بمسئوليته وحده عن تدبيره بنية مبيتة لموضوع إسهال التلاميذ لفضح المسئولين، وطالب مجلس الوزراء بالقيام بثورة إدارية، وألمح بأنه لما تقاعس العاملون عن أداء عملهم جبنوا عن مطالبة المسئولين بحقوقهم، وطالب بإحالة كل من أهمل وتجاوز إلى التحقيق، ضم المذيع صوته إلى صوت الأستاذ «محمد» ووجه بلاغًا على الهواء لكل من السيد المحافظ ومعالى وزير التربية والتعليم بسرعة التدخل .

أصبح الكَفر فى اليوم التالى على صوت (اللودارات) والحفارات المتجهة صوب (الوسعاية) وتجمعت جماهير الهلاهلة مهللين وفرحين بهذا النصر العظيم، والكل يتحاكى بشجاعة وجرأة ابن بلدهم الأستاذ «محمد»، وفى المدرسة استقبله الزملاء بحفاوة كبيرة وعانقه المدير، وأطلق عليه لقب «محمد الفاتح» .

بعد ساعات قليلة مُهِدَ الطريق؛ وأصبح يتسع لسير السيارات وكل المركبات، وفى لحظات مُلىء بالشباب والصبية والأطفال والنساء يهنئون بعضهم البعض بهذا الحدث العظيم. وفى الليل فتح التاريخ أبوابه مرة أخرى لِكَفر الهلاهلة حيث تَجَمّع أهله مرة أخرى أمام شاشة التلفزيون حيث ظهر السيد المحافظ بشخصه يشرح ويحلل ويبرهن على تضافر كل قوى المحافظة فى إخراج هذا العمل العظيم والحضارى، وفى نهاية اللقاء تقدم بخالص التهنئة لشعب الهلاهلة ووعدهم بأن رصف الطريق إن لم يوضع فى الخطة الخمسية أو العشرية؛ فإنه سيوضع فى الإثنى عشرية.

مزيدٌ من الأمل والتفاؤل غمر نفوس الهلاهلة لما سمعوه عن اتخاذ وزير التربية والتعليم خطوات سريعة لحل مشكلة دورات المياه، وكذلك دورات باقى مدارس الوزارة المُعدمة. ولكن معاليه اصطدم بلجان وهيئة الأبنية، واعتمادات وموازنات ومناقصات ومرافعات ومدوالات، ولجان فرعية وأخرى منبثقة فوقع فى بركة من الإحباطات، ولكن لِمَا يتمتع معاليه من قوة فى الشخصية ومن عزيمة فولاذية لم يستسلم، وخرج بفكره من دائرة الروتين التى تحيط بالوزارة، وهداه فكره إلى حل غير تقليدى وفكر فى الدول الصديقة والمُحِبة، والتى يوجد بينها وبين وزارته تعاون ثقافى، وعندما طرح الفكرة على أعوانه ووكلاء وزارته تعجبوا، وأخذتهم الدهشة، وأكدوا لمعاليه أن هذا ليس فكرًا، ولولا علمهم بأن الوحى قد انقطع بعد خاتم الأنبياء لظنوا أنه وحىٌ، وخلصوا بأنه إلهامٌ وإبداعٌ، وبعد اتصالات ومراسلات لدول مُقرضة ودول مانحة، طار معاليه إلى إحداها وبفكره المحاور والدبلوماسى وقَّع على منحة ستساهم فى حل المشكلة، وعاد إلى وزارته، ولكنه لم يفصح عن هذا الحل إلا لخاصته، وبعد أيام ظهر معاليه فى إحدى القنوات الفضائية مُعلنًا أنه سيزور مدرسة الهلاهلة قريبًا وسيتم التنسيق مع إدارتها التعليمية ومع مدير مدرستها، كاد قلب الأستاذ «غباشى» أن يتوقف من الفرحة بمجرد سماعه كلمة مدير مدرستها.

بادر جناب العمدة بالاتصال بالحاج (حجيبو) لمناقشته حول كيفية مراسم الاستقبال؛ فطمأنه الحاج (حجيبو) بأنه فى زيارات السادة المحافظين والوزراء تتكفل المحافظة بالتنظيم والتأمين، ثم قدم جناب العمدة له الدعوة بأن يكون على رأس المستقبلين، فأكد له أنه فعلاً سيكون من أول المستقبلين خاصة وأن الزيارة ستضم كلاً من المحافظ والوزير معًا، وبعد يومين وفى صباح وردى استيقظت القرية على صوت فرق من العمال والمهندسين والمشرفين، وهم يشرعون فى عمل بوابات الترحيب وأقواس النصر، ولافتات لحب الوطن، وأعلام مختلفة الألوان، وقاموا بتزيين المدرسة، ودهان أسوارها، والكتابة عليها بعبارات عن حب الوطن وإعلاء شأن العلم، وقاموا بتجهيز المدرسة على وجه

مُشَرِّف لاستقبال يليق بالزوار، ثم وصلت فرقة من رجال الأمن وقامت بإخلاء المدرسة لتأمينها، وكذلك تأمين الطريق، وأهابوا بكل هلهلى بأن يكون على قدر المسئولية، وأن يُحسن استقبال ضيوفه بالغد، وأن يظهر بمظهر يليق بسمعته الطيبة، دب الحماس فى نفوس الهلاهلة، وهاجت فيها مشاعر الوطنية، وقرروا أن يصطفوا مُحملين بالأعلام والزهور للاستقبال التاريخى.

كانت ليلة صعبة، فقد جافى النوم عيون كثير من أهل القرية، وعلى رأسهم الأستاذ «غباشى» فقد مرت عليه ساعات الليل أزمانًا ودهورًا، ومع الخيوط الأولى للصباح خرج من بيته فى ثوبه الزاهى فقد ارتدى جاكت (كاروهات) باللونين البرتقالى والأخضر، وهو جاكت المناسبات الكبيرة، ومن تحته (كرافت) تضم جميع الألوان فى دوائرها الصغيرة، ذهب إلى المدرسة ثم تبعه جناب العمدة ثم الحاج (حجيبو)، وامتلأت المدرسة بمعلميها وتلاميذها فى حُلل العيد.

فى تمام العاشرة ظهرت بشائر الموكب المهيب من مركبات رجال الأمن، وكانت جماهير الهلاهلة المحتشدة على قدر المسئولية، وعلى مستوى الحدث فى استقبالهم للضيوف.

بدأ الحفل بكلمات الترحيب والإطراء والثناء، وقد تجلى صوت المتحدث، وعلا وأخذه الحماس، وهو يعبر عن الشرف، وعلو القدر الذى نال الهلاهلة بهذه الزيارة التاريخية. وفى لحظة انفجر فناء المدرسة بالتصفيق المدوى وعبارات الثناء، فقد قام السيد المحافظ ليُطرب مسامع الحضور، ووعدهم بأن تمهيد طريق المربط هو أول خطوة على طريق الإصلاح، وطلب من كل هِلهلى أن يزيح سقف طموحاته إلى أعلى، وأكد لهم بأنه مهما طال الأمد أو قَصُر فسوف يصبحون يومًا على صوت آلات رصف الطرق، وأنه قد حان الوقت وآن؛ لتصبح بلدتهم على خريطة المحافظة.

بعد انتهاء السيد المحافظ من كلمته وقف الأستاذ «محمد» مرتفقًا بوابة المدرسة بعد إنهاء مهمته بالإدارة ليسترق السمع، وفى هذه اللحظة اقترب من

المنصة رجلان من عمال الوزارة يحملان صندوقًا مغلفًا بأجمل أوراق الزينة، ووضعوه بجوار معالى وزير التربية والتعليم، وما أن وقف معاليه اشتعل الفناء بالتصفيق والتهليل، وأخذ يشير إليهم حتى يتمكن من أن يُفصح عن مفاجأته وأشار إلى الصندوق، صمتت الهلاهلة ونظرت فى ترقب إلى الصندوق وانتظرت المفاجأة، بدأ معاليه بالشكر والثناء لهذه البلدة الطيب أهلها، وعندما اختص السيد مدير المدرسة بالشكر على حسن تنظيمه للحفل، وذكر اسمه ترنح الكرسى بالأستاذ «غباشى»؛ وكاد أن يفارق الحياة؛ فلم تحتمل ضلوعه وَجِيب قلبه الذى أحس به كاللكمات، وكادت مراكز إدراكه تتوقف من هول ذلك الشرف وتلك المِنّة. وجاءت ساعة الحسم وأشار معاليه إلى الصنوق وقال: -

إن هذا الحل هو حل غير تقليدى وعلى غير المعتاد، وهو ليس مجرد تفكير خارج الصندوق، بل هذه المرة قد حطمنا وهشمنا الصندوق، إنها ستكون تجربة رائدة لكل مدارسنا، وقد حظيت مدرستكم بأولها فبعد أبحاث وتجارب ومعامل وزيارات لدول صديقة، قد توصلنا إلى هذا الحل الآمن النظيف وغير ملوث للبيئة، إنها أقراص فى أساسها فيتامينات، وفى نفس الوقت هى أقراص للإمساك، والتى سيتناولها التلميذ فى السابعة صباحًا فتمسك له السبيلين حتى الرابعة عصرًا،

انفجر الفناء بالتصفيق والتهليل، ولما قام أحد مواطنى الهلاهلة البسطاء لطرح سؤال على معاليه، تغير لون وجه العمدة وأشار إليه بالجلوس أو بالاختباء، لكن معالى الوزير بسعة صدر أشار إلى لمواطن لكى يتكلم، فاعتدل المواطن وقال :-

> نشكر معاليك على اهتمامك بأولادنا وعلى هذا الحل العبقرى، ونرجوك أن تُكمل جميلك وتجيب لنا أقراص لسد النفس وفقد الشهية؛ لأن أولادنا خربوا بيوتنا من كثرة الأكل ومش ملاحقين على المصاريف.

ابتسم معالى الوزير، وطلب من المواطن أن يوثق طلبه بِمُكَاتبة، ويجمع عليها توقيعات من الهلاهلة، ثم بشره بأنه مع أول اجتماع لمجلس الوزراء؛ سيعرض طلبه؛ ويزكيه، وأكد له بأنه كما أمسك بطون أولادهم بفضل وتوفيق من الله، فلم يدخر معالى وزير الصحة جهدًا بأن يسد نفس أولادهم، ويُفقدهم الشهية.

انتهى معالى الوزير؛ مختتمًا كلمته بوعده الغالى وسط إعجاب الهلاهلة، وتهليلهم وتصفيقهم، وفى اللحظة التى دخل فيها الأستاذ «محمد» المدرسة؛ عازمًا على تخطى الصفوف ومواجهة الوزير، طلب رجال الأمن من جموع الهلاهلة سرعة إخلاء المكان؛ فاندفعوا بأجسادهم كالسيل العرم الذى جرف الأستاذ «محمد» إلى خارج أسوار المدرسة، وَغُلِّقت الأبواب وكساها رجال الأمن، ومازال الأستاذ «محمد» يرسف تحت وطأة سيل الجموع؛ محاولًا الوصول إلى معاليه لتدفعه الأبدان، وترمى به إلى الوراء، حتى امتثلت خطاه لخطى الهلاهلة.. **فأنى له أن يسبح ضد التيار؟**